



جامعة الشهيد حمزة الخضري - الوادي
Université Echahid Hamza Lakhdar - El Oued

جامعة الشهيد حمزة لخضر - الوادي
معهد العلوم الاسلامية
قسم أصول الدين



جامعة الشهيد حمزة لخضر - الوادي
Université Echahid Hamza Lakhdar - El Oued

مقاصد العقيدة عند النورسي النبوة أنموذجاً

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر
في العلوم الاسلامية - تخصص: عقيدة

المشرف:
د: علي خضره

الطالب:
عبد الكامل بن عمر

السنة الجامعية: 1438-1439هـ / 2017-2018م



جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
معهد العلوم الاسلامية
قسم أصول الدين



مقاصد العقيدة عند النورسي النبوة أنموذجا

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر
في العلوم الاسلامية - تخصص: عقيدة

المشرف:
د: علي خضره

الطالب:
عبد الكامل بن عمر

لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة	الاسم واللقب
رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	أ.د/ معمر قول
مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	أ.د/ علي خضره
مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	أ.د/ خالد حباسي

السنة الجامعية: 1438-1439هـ/2017-2018م



إهداء

إلى من أمر ربي بالدعاء لهما ، والدي الكريمين، فلولاهما
لما وُجِدْتُ في هذه الحياة، ومنهما تعلَّمت الصمود،
مهما كانت الصعوبات ، إلى الذين حملوا أقدس رسالة في
الحياة ، إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة إلى جميع
أساتذتنا الأفاضل، إلى الزملاء والزميلات، الذين لم
يَدَّخروا جهداً في مدِّي بالمعلومات ، إلى زوجتي التي وقفت
بجانبي في أصعب اللحظات، إلى أبنائي، إلى كل هؤلاء جميعا ؛
أهدي عملي المتواضع هذا.

شكر وعرهان:

أشكر الله سبحانه وتعالى على عظيم كرمه وإحسانه أن وفقني في إتمام هذه الرسالة كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور علي خضرة الذي مد لي يد العون بالإشراف علي ، وأفادني بإرشاداته وتوجيهاته . وهو الذي زودني بمؤلفات لبديع الزمان. إلى جانب توجيهاته التي اكتسبها من خبرته العلمية، فهو الذي أشار علي بعنوان البحث . كما أرفع شكري إلى الأستاذ الدكتور خالد حباسي إذ أفادني أيما إفادة في اختيار موضوع البحث أيضا وفتح لي بابة في أي استشارة تتعلق بموضوع البحث ،وكذا أستاذي الفضلان :الدكتور معمر قول ،والدكتور طيبي عبد الرحمان اللذان ابدا استعدادهما لأي شيء يتعلق بالموضوع، والأستاذ الدكتور محمد السعيد عقيب الذي لم يتأخر في تقديم الدعم الكثير لي. إلى كل هؤلاء أرفع أيادي الامتنان والعرهان. إلى الأرواح الطاهرة التي عبت لنا الطريق ؛ورحلت، إلى الذين يتعلمون العلم ويعلمونه ، إلى أساتذتي الكرام الذين نهلنا العلم على أيديهم في مراحل دراستي.

مقدمة:

الحمد لله الذي أكرمنا بخير كتاب أنزل ، قال تعالى: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾¹، وخصنا بخير نبي أرسل ، قال : صلى الله عليه وسلم : (تركتمكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك)، الحمد لله الذي أنار الوجود بطلعة خير البرية ، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، قمر الهداية وكوكب العناية الربانية ، مصباح الرحمة المرسله وشمس دين الاسلام .

أما بعد : ففي بحثنا المتواضع ، نقف أمام مجدد عظيم ، وهب نفسه للدعوة في سبيل الله ، مدافعا عن الحق ، صادحا بالقرآن ، متصديا للهجمة العلمانية؛ التي تنسلخ من الدين ، والتي تصطبغ بالطابع الغربي باسم الحرية والتقدم . وبدع التصوف المنحرفة ، فقد تصدى النورسي لهذه المواقف ، ساعيا إلى البرهنة على نقيضها ، حيث غلب منزلة الصحابة القريبين من النبي صلى الله عليه وسلم على منزلة الأولياء ، قائلا: إنّ نسبة النبوة إلى الولاية، كنسبة الشمس المشهودة بذاتها، إلى صورتها المثالية الظاهرة في المرايا؛ لذا فإنّ سمو منزلة العاملين في دائرة النبوة، وهم الصحابة الكرام الذين كانوا أقرب النجوم إلى تلك الشمس الساطعة، وعلوّ مرتبتهم على الأولياء الصالحين؛ هو نسبة سموّ دائرة النبوة وعلوّها على دائرة الولاية. كما رد على منكري مسألة النبوة ؛ بمنهجية استدلالية استخدم فيها العقل ولامس فيها تذوق القلب ، في اطار مقاصدي سلس يقيم به الحجة والبرهان في قالب عصري .

¹ - سورة المائدة ، الآية 3

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث في اعمال المقاصد في العقيدة واعتبارها مسلكا من مسالك الترجيح، في سياق الكشف عن مسألة النبوة من حيث التوظيف المقاصدي والاستدلال بها في هذا العصر ، الذي تميز بالتسارع العلمي والتجديد والتطوير المستمر للعلوم والمعارف ، واسقاطها في قالب منهجي ، متلائم مع المستجدات العصرية .

والنورسي يعتبر من مجددى عصره، بكونه فقه واقعه، وتعمق فيه وكشف عن أدوائه وأسقامه، وخلص بنظرة مستقبلية فاقت حدود عصره الزمانية، تنم عن فهم دقيق وفكر عميق ، متماشيا مع متطلبات بيئته واكراهات الواقع.

ومسألة النبوة احدى أهم مقاصد القرآن الأربعة ، التي تناولها النورسي ، بكونها مثبتة للدين وذلك بترسيخ الايمان ودحض الشبهات ، مخاطبا العقل والقلب في استدلاله حين خاطب المشككين الذين لا يؤمنون بقدسية النص، وساقها في اطار الاعجاز العلمي، بأسلوب حضاري راق فيه لمسة ابداعية تجديدية ، تقوم على الاقناع العقلي ، و القلبي .

ونجمل أهمية الموضوع في:

- إبراز مكانة النورسي من خلال الاستدلال على النبوة ، بمنظور التوظيف المقاصدي
- بيان الأسلوب الأمثل في الاستدلال الذي اعتمده النورسي بما يواكب مستجدات العصر.
- طريقة الاستعمال والاستثمار الوظيفي للنبوة في عملية التفعيل الحضاري.

الإشكالية:

مسألة النبوة قديمة؛ من حيث تعاقب الأنبياء و الرسل الكرام .من خلال الكتب السماوية المنزلة ، إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .المؤيدة بالقرآن ، وهي معجزة بدلائلها وبراهينها ، حيث تناولتها الأقلام بالتأليف ، وكانت موافقة لمتطلبات عصرهم ،ودحض الشبهات والشكوك المثارة حولها .

فانطلاقاً من هذا الموروث ، نحاول أن نبرز مسألة النبوة من خلال التناول المقاصدي الذي اتخذهُ النورسي في الاستدلال بالنبوة ، وذلك من خلال التوظيف المقاصدي ، المسايرة لمتطلبات العصر التي فرضتها إكراهات الواقع ، والتي فرضت بموجبها إعادة النظر في مسألة النبوة ، وطرق الاستدلال بها في اطار مقاصدي جديد مغاير لما ألفناه في السابق، فكيف وظف النبوة ؟ وبيان تفاصيلها ، و جوانبها واستثمار مضامينها .

الفرضيات:

- الشيخ النورسي وهب نفسه لمعالجة الشبهات التي أثرت في عصره على الوحي ومصادره ، وكان يرد بالقرآن الكريم والسنة المطهرة في النفي والاثبات ، موظفاً في ذلك مسألة النبوة بمعجزاتها الخالدة، في اطار مقاصدي سلس.
- النورسي في تعامله مع النبوة ساقها في قالب يصورها بالرحمة التي تحتاجها البشرية ، وهي لسان صدق الوحي ، والاخبار عن عالم الحشر (الغيب) ، حيث استدل مخاطبا العقل والقلب معا ، بمثابة دعوة للذين لا يؤمنون بقدسية النص .
- النورسي أورد مسالك جديدة في استدلالاته تنم عن فهم عميق للغايات والمقاصد ، وفقه الواقع.

خطة البحث:

يتكون بحثنا من فصلين ، حيث تناولت في الفصل الأول : تعريف المصطلحات وترجمة الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي والبيئة التي عاش فيها، حيث قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث ، فتناولت في المبحث الأول : بيئة بديع الزمان النورسي ، حيث تحدثت عن الدولة العثمانية ، عن الحالة العامة لعصر النورسي، حيث تكلمت عن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، و الجامعة الاسلامية و جمعية الاتحاد والترقي و حركة كمال اتاتورك و تركيا ما بعد كمال اتاتورك، فهذه العناصر بصفتها مؤثرة في الواقع .

أما المبحث الثاني فتعرضت فيه إلى حياة بديع الزمان النورسي وجهوده الإصلاحية، حيث تحدثت عن المولد والنسب والنشأة العلمية ، و نضاله السياسي والفكري ووفاته وارثه العلمي، والتعريف ببعض طلابه ، كما تحدثت عن بالميزات العامة لمنهجه التجديدي ؛من سلامة المنطلق ، والوسائل المستخدمة في عملية التبليغ ، وسمات الخطة الاصلاحية .

ثم عرفت ببعض المصطلحات الواردة في البحث كالعقيدة والنبوة والمقاصد ، ومن حيث موضوع كل مصطلح ، باعتبارها احدى ركائز البحث الأساسية.

أما الفصل الثاني والذي يعتبر مربوط الفرس وبيت القصيد المنوط بالبحث والتنقيب ،والذي عنوته بمسألة النبوة عند النورسي ومنهجه في تناولها، حيث قسمت هذا الفصل إلى مباحث ،فعنونت المبحث الأول تحت اسم :الاطار المقاصدي لبحث مسألة النبوة، فتحدثت عن موقع النبوة في الاستدلال المقاصدي عند النورسي،وذلك للاعتبارات التالية :كون النبوة تأتي في المرتبة الثانية في التشريع بعد القرآن الكريم ، ومن كونها احد المنابع التي تتم بها مراجعة القديم وصقل الجديد ،وبوصفها أساس لبناء الحضارة ومنهج هداية لضبط التفكير السليم، وملبية لرغبات العقل والقلب.حيث تناولها النورسي بطريقة مغايرة للإشراق الصوفي في تركية النفس ، و مخالفا لمنهج علماء الكلام المؤسس على الحدوث والامكان ، وبعيدا عن المسلك الفلسفي المبني على الاقتباس من فلاسفة اليونان ، بل أثر المنهج المضمون العواقب ؛هو المعراج القرآني المعجز ببلاغته ، المؤدي إلى طريق الاستقامة

والشمول في جميع مناحي الحياة؛ فهو الطريق الأقصر قرابة إلى الله ، فنراه مفسرا لعالم الغيب والشهادة ، وأنه شارح لذات الله تعالى وصفاته و أسمائه.

كما تحدثت عن : موقع مسألة النبوة عند النورسي ، فهي تحتل موقعا مميزا في دعوته، وكونها لامست جانبا من تأليف رسائل النور التي غمرت العمق الاجتماعي ، من حيث البعد الهدائي ، ومن حيث الاعجاز المتحدى به ؛ تمثل ذلك في بيان اعجاز النبوة في دفاعها ؛ عن الايمان والعقيدة، ومن حيث توظيفها باستعمال ؛اساليب الاعجاز واستراتيجية التحديد.

فالنبوة من ضمن المصادر الرئيسية التي تعتمد عليها رسائل النور في الاستمداد والمدد ، ومن حيث الاعجاز النبوي في التوظيف المقاصدي.

ثم تناولت ، مفهوم النبوة عند النورسي ومنهجه العام لتوظيف المسألة ، حيث تحدثت عن :طريقة توظيف النبوة عند النورسي ؛من حيث الاهتمام ببيان الجانب الوظيفي والمعاني الجوهرية لمهمة الأنبياء والرسل ، وذلك حين نراه يدرجها ضمن مقاصد القرآن الأربعة والتي هي : التوحيد والنبوة والحشر والعدالة مع العبودية .حيث يرى أن هذه المقاصد الأربعة ؛هي السبيل الوحيد لسعادة البشرية في حياتها الدنيا ومآلها الأخروي ؛ وذلك بالرجوع إلى الكتاب وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

كما فتحدثت عن تناول مسألة اعجاز النبوة في سياق بحث الحقائق الايمانية واثباتها ، عن طريق التعريف بالله ،ثم تحدثت عن منهج توظيف تفاصيل جوانب النبوة ، من حيث الوجه الدلالي ، حيث تضمن اثبات النبوة بالأدلة العقلية لا النقلية ، مع اثباتها أنها مقصد من مقاصد القرآن الكريم ، وذلك من خلال استخراج دلائل التوحيد والنبوة من القرآن الكريم ،في قالب عقلي حاجج به النورسي منكري النبوة ،فحصر مسالك اثبات النبوة في خمسة.

أربعة واضحة والخامسة مخفية، أولها: تظهر النبوة في معرفة ذاته وصفاته الخلقية ، والثانية :من خلال تتبع سيرته الحياتية ، والثالث ممثل في الشريعة التي تمثل صحيفة المستقبل

، والرابع: إثبات النبوة بالمعجزات والخوارق المعروفة، كنبعان الماء من تحت أصابعه صلى الله عليه وسلم ، وانشقاق القمر...

و تحدثت عن النبوة بالوصف المقاصدي؛ الذي تندرج فيه مجموعة من المقاصد المتداخلة فيما بينها فمنها: صدق رسالته وانه أكمل الأنبياء ، وهو خاتمهم ومرسل لكافة الأقسام على اختلاف أجناسهم ، وشريعته ناسخة لجميع الشرائع ، كما أنها جامعة لمحاسنها ، فهو محور الغايات الإلاهية السامية في الكون ، كما اعتمد النورسي منهجية مقاصدية في استدلالاته كمايلي : لا اجتهاد إلا برداء المقاصد، فمن لم يحكم العمل بالمقاصد فاجتهاده يشوبه النقص ،ايضا أن المصالح حكم مرجحة وليست عللا للأحكام ، فأحكام الشريعة لا تعلق برعاية مصالح العباد، لأن الله أثبتها تعبدا ، كذلك أن الوسائل في خدمة المقاصد ،لأن موارد الأحكام على قسمين: مقاصد ووسائل ،ايضا أن المقاصد مراتب ودرجات ،اعلاها ؛ معرفة الله وعبادته ، كما أن المنهجية المقاصدية من اركانها الموازنة المصلحية ،و من أساسها المفاضلة والترتيب ، وأخيرا فإن تمام صحة المنهجية المقاصدية ؛تذوق حلاوة الايمان والتقوى والورع.

كما تحدثت عن باقي الجوانب ،واقترنت فيه على الجانب الغيبي والبلاغي والعلمي من حيث جزالة البيان وبلاغة الكلام التي ساققتها مصادر الوحي المتمثلة في الكتاب والسنة ، حي أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ، مما دفع النورسي لإعادة احياء واثارة مسائل الاعجاز ، حيث بسط حال البلاغة عند العرب قبل نزول الوحي ،وكذلك تصوير الجو السائد بعد نزول الوحي بأسلوب جذاب ، كما دعم الاعجاز بمسائل لم يُتطرق لها من قبل ، كمسألة كيفية تذوق الاعجاز بعد مضي عصر النزول القرآن الكريم أما الجانب الغيبي ، الذي استحضر فيه الجانب العقلي والقلبي للمعاد. الذي نحصل فيه على نتائج اعمالنا من خير أوشر ، وبالتالي سعادة أبدية أو شقاء أبد الدهر، والذي يعتبره النورسي من مقاصد القرآن الأربعة كما أسلفنا في توضيحه سابقا ، والذي يرى فيه النورسي اثبات على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

كذلك خصصنا الحديث عن الجانب العلمي والذي احاطه النورسي باهتمام كبير و أشاد بالتوجه العلمي والتقني للأمة وبالسير على نظام اقتصادي متوازن، من أجل الوصول إلى البناء السليم للأمة وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى .

ثم تكلمت عن منهج تناول المقاصدي عند النورسي ، والذي يلامس التوظيف المقاصدي ، التي ينبنى عليها عملية إثبات باقي الحقائق الإيمانية، ترد ضمنها المسائل ، التي تأتي في الغالب الأعم لخدمة حقيقة إيمانية ، وعن العصرية، و روح الأصالة في مسألة كمسألة النبوة مكوّن طبيعي وفطري لها، باعتبارها من ألق المسائل بالقرآن الكريم، وذلك من خلال أسلوب الخطاب الذي يعتمد المخاطب ، فعقليات المتلقين تختلف من عصر إلى آخر فكل حسب قدراته العقلية .

ثم تكلمت عن الجانب التجديدي، التي لاق حضورا قويا ظاهرا، أضفى على منهجه تجديدا اتسم بها ، وذلك من خلال عرضه المسائل بما يتلاءم مع جيل عصره، وإخراجها في ثوب جديد يحقق مقاصدها وأبعادها الوظيفية. فتظهر معالم التجديد في :

العودة إلى القرآن الكريم في الرؤية والمعرفة- واتخاذ منهج التغيير الذي يركز على البنى التحتية بتجديد أسلوب الدعوة و إنقاذ الجيل من التصوف المنحرف و التعامل مع الغرب قاعدته الحجة وذلك: بإثبات الإيمان عن طريق نتائج العلم الذي يفهمه الغربيون ، و نقده مساوئ الحياة الغربية ومناوئها للدين، و رد الاعتراضات الفكرية على الدين والتي خرجت أساسا من الغرب، و وضع نظما فكرية في المجالات التي يفهمها الغربيون.

منهجية البحث المعتمدة :

استعملت المنهج الوصفي التحليلي ، لملائمته موضوع البحث هذا وللإجابة عن اشكالية البحث والتحقق من الفرضيات ، وهي متفاوتة في الموضوع من حيث الاستجابة في معالجة البحث ، ومن حيث النتائج المراد التوصل إليها .
كذلك اقتصر في بيان تناول النورسي للنبوة على استنطاق نصوصه.

الدراسات السابقة:

- تناول باحثون موضوعات تشترك مع هذا البحث ، في بعض جوانبه.نورد البعض منهم:
- مقاصد رسائل النور في ضوء القرآن الكريم ، دراسة تحليلية ، تأليف عمار جيدل، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر المركزية ، بن يوسف بن خدة
- النبوة وضرورتها للإنسانية ، تأليف خديجة النبراوي ،منتدى سور الأوزبكية
- البعد العقدي في فكر النورسي، تأليف الدكتور الشفيح الماحي احمد، جامعة الملك سعود-الرياض
- بديع الزمان سعيد النورسي قراءة جديدة في فكره ،تأليف د جمال الدين فالخ الكيلاني و د زكريا حمد الصميدعي ، دار الزنبقة القاهرة
- منهج بديع الزمان سعيد النورسي في بيان اعجاز القرآن الكريم رسالة ماجستير للباحث مراد قمومية ، كلية العلوم الاسلامية جامعة الجزائر
- ندوة دولية فقه المقاصد والحكم في فكر بديع الزمان النورسي ، كلية الشريعة جامعة القرويين المملكة المغربية ومركز بحوث رسائل النور باستانبول
- مفهوم النبوة وضرورتها للبشرية بمنظور رسائل النور، بحث للدكتور حامد أشرف همداني ،جامعة بنجاب لاهور
- المنهج الدعوي في فكر بديع الزمان سعيد النورسي رسالة ماجستير للباحث ملم ابراهيم، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية جامعة الحاج لخضر باتنة

الصعوبات :

- ضيق الوقت الذي حال دون التعمق في قراءة رسائل النور، والتي تحتاج إلى قراءة متأنية حتى تؤدي الغرض المطلوب
- توظيف مادة المقاصد في العقيدة يحتاج إلى تفحص دقيق جدا ، لارتباطها الشائع بالفقه ، بل تحتاج إلى دراسة دقيقة مسبقا .

الدوافع:

- الرغبة في سبر أغوار فكر المجدد النورسي والتعرف على منهجه في الاستدلال المقاصدي من خلال اثبات الحقائق الايمانية والغيبيات ، ومدى ملائمتها مع المستجدات العصرية
- الشغف بالمقاصد وطرق توظيفها في الاستدلال عن العقيدة
-

أهداف الموضوع:

- التعرف على فكر النورسي المستنير ، والاستفادة منه
- دراسة جهود النورسي الاصلاحية في خضم التحديات التي تزامنت مع سقوط الخلافة الاسلامية ، و بروز التيارات التغريبية ، العلمانية وكيف تصدى لها النورسي ، في محاولة الحفاظ على الهوية الاسلامية .

الفصل الأول:

الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي

والبيئة التي عاش فيها

توطئة:

قبل الحديث عن النورسي في مسألة النبوة، لابد من التعرف على البيئة والظروف الحضارية بشكل عام، للمرحلة التي عاشها في الدولة التي ترعرع فيها فاعلا ومتفاعلا، كي نتمكن من فهم الإصلاحات الفكرية التي قدمها، في إطارها التاريخي والحضاري. كما يقتضي المقام قبل التعرض للفترة التي عاصرها بالبحث، التطرق للمولد والنشأة و تطور مراحل نمو الدولة التي عاش في كنفها، خاصة و أن النورسي عاش في الفترة الأخيرة من نهاية حياة الدولة العثمانية، التي عرفت الانحطاط والضعف ثم الزوال، إذ يقتضي المقام الحديث عن النشأة والتطور وعناصر القوة والتمكُّن، مسايرة لتسلسل الحدث التاريخي من جهة، ولأثر المراحل الفائتة منها في اللاحقة من جهة أخرى، حتى نتمكن من وضع أيدينا على أسباب السقوط والانهيار للدولة الإسلامية .

المبحث الأول : بيئة بديع الزمان النورسي:

المطلب الأول : الحالة العامة لعصر النورسي

ولد النورسي في السنة التي تولى فيها السلطان عبد الحميد الثاني الحكم ، وعاش إلى ما بعد إسقاط الخلافة فترة حكم كل من كمال أتاتورك وخليفته من بعده إلى عهدة ((جلال بايار)). وقد عرفت هذه المرحلة من عهد الدولة تحولات كبيرة، وأحداث متسارعة، بسبب الضعف الذي ساد أغلب مؤسساتها الحيوية، الذي صحبه تيارات إصلاحية مختلفة اختلاف تصورات واتجاهات المتصدرين للحكم والقائمين على شؤون الإدارة، ويصب بعضها في نفس مصب التوجه الحضاري الأصيل للأمة الإسلامية، ويفضي بعضها الآخر إلى السقوط في فخاخ النموذج الغربي العلماني. كان يمثل التوجه الأول السلطان عبد الحميد الثاني الحامل لفكرة الجامعة الإسلامية وإعادة إحياء الجانب العملي المقاصدي للخلافة الإسلامية، وتمثل التوجه الثاني في حركتي الاتحاديين والكماليين.

الفرع الأول : السلطان العثماني عبد الحميد الثاني

ولد السلطان عبد الحميد الثاني في 16 شعبان سنة 1258هـ/1842م، ماتت أمه وهو في العشرة من العمر ، فتولت تربيته زوجة أبيه الثانية التي لم تنجب ، فتأثر بأخلاقها العالية وشدة تدينها ، مما انعكس على شخصيته ، كما أوصلت بميراثها له، تلقى تعليمه في القصر على يد نخبة من كبار العلماء ، كما تعلم اللغة العربية والفارسية وتعلم التاريخ ، وتعمق في التصوف ، ونظم بعض الأشعار باللغة التركية العثمانية ، كما تدرب على استخدام السيف واصابة الهدف بالمسدس ، وممارسة الرياضة، وكان مهتما بالسياسة العالمية و موقع بلاده منها بدقة تامة¹. فالسلطان عبد الحميد الثاني هو السلطان الرابع والثلاثون ، تولى الحكم وهو في الرابعة والثلاثين من عمره سنة 1293هـ/ 1876، بعد أخيه مراد. كما عين السلطان عبد الحميد مدحت باشا صدرا أعظم ، ثم أعلن الدستور الذي يكفل الحريات وينص على الحكومة البرلمانية في 23 ديسمبر (1293هـ/1876م)².

تعرض السلطان عبد الحميد في بداية حكمه إلى تعنت الوزراء، الممثلة في النخبة المتأثرة بالغرب، والتي تنشط تحت لواء جمعية العثمانيين الجدد، التي احتواها المد الماسوني ، رغبة في تحقيق أهدافه ، مما دفع مدحت باشا الذي يعد أحد أقطابها إلى أن كتب إلى السلطان عبد الحميد ، في اول عهده بالحكم (1877م) ،(لم يكن غرضنا من اعلاء الدستور إلا قطع ،وتعيين ما لجلالتكم من الحقوق وما عليها من الواجبات ،وتعيين وظائف الوزراء ،وتأمين جميع الناس على حريتهم وحقوقهم، حتى تنهض البلاد إلى مدارج الارتقاء، وإني أطيع أوامركم إذا لم تكن مخالفة لمنافع الأمة...)، حيث يقول السلطان عبد الحميد في هذا: ((ولقد وجدت مدحت باشا ينصب نفسه أمرا ووصيا علي .وكان في معاملته بعيدا عن المشروطية((الديمقراطية))وأقرب إلى الاستبداد.³

¹ - انظر علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الاسلامية، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية، 2002، ص12

² - نفس المصدر السابق ، ص15

³ - نفس المصدر السابق ، ص15

أمر السلطان عبد الحميد بإجراء انتخابات عامة ، وكانت الأولى من نوعها في تاريخ الدولة العثمانية ، وكانت نتائجها من حيث التمثيل كالاتي :المسلمين تحصلوا على 71 مقعدا، والنصارى 44 مقعدا،واليهود 4 مقاعد.

واجتمع أول برلمان عثماني في 29 مارس 1877م/1294هـ، وكان مجلس الشيوخ والأعيان يتكون من :26 عضوا بالتعيين، من بينهم 21 مسلما ، في حين مجلس النواب يتكون من :120عضوا، حيث قام بعض النواب العرب بدور مهم من خلال المناقشات ، غير أن مجلس المبعوثين كانت مدته قصيرة ؛فقبل أن يتم المجلس دورة انعقاده الثانية ، حيث طلب النواب في 13 فبراير عام 1878م/1296هـ،أن يمثل ثلاثة وزراء أمام المجلس للدفاع عن أنفسهم من التهم الموجهة إليهم ،فما كان من السلطان عبد الحميد إلا أن عطل المجلس وأمر بعودة النواب إلى بلادهم ،وقام بنفي وإبعاد البارزين منهم . ومن ثم لم يدع هذا المجلس للاجتماع ثانية لمدة ثلاثين عاما.¹

وملخص القول أن السلطان عبد الحميد كان مضطرا لإعلان الدستور ،وذلك راجع إلى الضغوط التي مورست عليه من طرف مدحت باشا وشاكتله ، وعندما رأى الفرصة سانحة عطل المجلس .

فالسلطان عبد الحميد ضد المشروطية ،باعتبارها وافدة من الغرب ،وأنه لا يصلح لبيئته، وأن لكل بيئة قوميتها الخاصة بها. وحجته في هذا ،سوء تصرف المنادين بها ، مما دفعهم إلى توقيع بعض القرارات ؛التي تنص على تعيين ولاية نصارى في تجمعات أغلب ساكنيها مسلمين ،وقرار قبول طلبة نصارى في الكلية الحربية العثمانية ، التي تمثل عمادة الجيش العثماني ، فرفض السلطان عبد الحميد التوقيع ، مما أدى بمدحت باشا إلا أن قال للسلطان: إن مقصدنا من الدستور إلا أن ننهي استبداد القصر، ووجب على جلالتكم أن تعرف واجباتكم .

فرفض السلطان عبد الحميد يعلل بكون المشروطية موت للعنصر الأصلي للبلاد ، لأن الدولة العثمانية تظم شعوبا شتى وهل في البرلمان الإنجليزي نائب هندي واحد؟ وهل في البرلمان

¹ - انظر علي محمد الصلابي ،السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الاسلامية ،صيدا-بيروت، المكتبة العصرية

الفرنسي نائب جزائري واحد؟، فلم يغير السلطان عبد الحميد نضرتة هذه حتى بعد أن عزل .ويتساءل : ما حدث عندما اعلنت المشروطية ؟ هل قلت الديون ؟ هل كثرت الطرق والدارس ؟ هل تعقلت القوانين ؟ هل ساد الأمن وأصبح الشعب أكثر رفاهية ؟ إن الدواء يصبح سما زعافا إذا كان في يد غير الأطباء،

فالسلطان عبد الحميد لموقفه م يكن ضد الحكم الدستوري وإنما نتيجة للظروف التي كان يحكم فيها ، لأن عصره مر بظروف عصيبة وأزمات شديدة ،وتأمر دولي من الداخل والخارج ،حيث شرع في اصلاح الدولة ؛وفق التعاليم الاسلامية منعا للتدخل الأوروبي في شؤون الدولة ، وقام بتطبيق الشريعة ، وابعاد الكتاب والصحفيين عن العاصمة، وأسس نظاما استخباراتيا قويا لحماية الدولة داخليا وخارجيا ، ورصد المعلومات عن الأعداء. هذا الجهاز أفاد الدولة كثيرا في اخماد حركات التمرد.

كما قام سكان الجبل الأسود والصرب بتحريض بلاد البلقان ، بالتمرد والانفصال عن الدولة العثمانية ، وكان ذلك في سنة (1293هـ/1876م)، واستطاع العثمانيون اخمادها. حيث رغب السلطان عبد الحميد الدول الأوروبية من التدخل ،وكان وراء هذا التمرد النمسا التي كانت ترغب في ضم البوسنة والهرسك إليها ،حيث عملت مع روسيا ،وألمانيا، وفرنسا ،وانكلترا على الطلب من السلطان بالقيام بإصلاحات، فوافق عليها السلطان ، لكن نصارى البوسنة لم يوافقوا على ذلك بل كانت مطالبهم أكبر من ذلك ؛ وهو التدخل في شؤون الدولة العثمانية بطريقة مباشرة أو غي مباشرة .والهدف الاطاحة بالدولة العثمانية واضعافها ،اضافة إلى ذلك قامت ثورة البلغار في نفس الوقت ، حيث تأسست جمعيات في البلغار لنشر النفوذ الروسي بين النصارى الأرثوذكسي والصقالبة ، حيث لخص السلطان عبد الحميد نوايا الدول الأوروبية في نقطتين :

- 1- إثارة الأهالي المسيحيين ،وتعكير صفاء الجو ،وبالتالي تتصدى هذه الدول لحمايتهم.
- 2- القول بالمشروطية ، لإحداث الفرقة بيننا وأنفسنا، واستطاعوا أن يجدوا من بيننا أنصارا يستخدمونهم في كلتا الحالتين .وبكل أسف كان على خبز العدو شيء من السمن ،

فلم يستطع بعض الشباب العثماني المثقف أن يفرق بين التطبيق السهل والحكم الدستوري في بلاد تتمتع بوحدة قومية ، وبين تعذر هذا الحكم في الدول التي لا تتمتع بوحدة قومية.¹ كما اهتم بفكرة الجامعة الاسلامية، وحق نتائج مبهرة ، مما أثار حفيظة الغرب وعملوا على افشالها.

¹ - انظر علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الاسلامية، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية، 2002، ص18 إلى 22،

الفرع الثاني: ظهور الجامعة الإسلامية

ظهرت الجامعة الإسلامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كرد فعل على الغزو العسكري والثقافي الغربي للعالم الإسلامي¹. سنة 1876م، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، حيث قاد البلاد بحزم ، وابتعد المتأثرين بالفكر الغربي عن أماكن النفوذ في السلطة ، حيث دعا إلى توطيد العلاقات مع كل أقطار العالم الإسلامي ، كما تأسف لعدم وجود تفاهم مع إيران ، حيث قال: ((عدم وجود تفاهم مع إيران أمر جدير بالتأسف عليه، وإذا أردنا أن نفوت الفرصة على الانكليز والروس فإننا نرى فائدة تقارب إسلامي في هذا الأمر)) ثم مضى السلطان عبد الحميد الثاني في الحديث عن العلاقة بين دولته وانكلترا حيث وصفها بالسيئة ، كون انكلترا تعمد إلى وضع العراقيل والمطبات لهدم الوحدة الإسلامية ، وهز عرش الدولة العثمانية ، حيث يرى أنهم أفسدوا عقول المثقفين المصريين بالقومية على حساب الدين ، ضنا منها مزج الحضارة المصرية بالأوروبية ، بذلك أصبح مثقفو مصر ألعوبة في أيدي انكلترا من حيث لا يدرون. وعبر عن السياسة بين الإنكليزية تجاه الخلافة الإسلامية، بأن انكلترا تحاول السيطرة على منطقة الجزيرة العربية وضمها تحت حمايتها ومن ثم اضعاف الاسلام وتقوية نفوذها ، لذلك أرادت أن يكون الخديوي ؛خليفة للمسلمين في مصر ، وهذا مالا يقبله مسلم صادق ،لأن الخديوي متشبع بالفكر الغربي بدأ بدراسته في جنيف وختاما في فيينا .

وعندما اقترحت انكلترا ، إعلان الشريف حسين أمير مكة خليفة على المسلمين ،اعترف السلطان عبد الحميد الثاني، بأنه لا يملك القوة الكافية لمحاربة أوروبا ، وفي المقابل أن هذه الدول كانت خائفة من الترسانة العثمانية ، لذا فهي تعمل على اضعافها ومن ثم إنهاؤها ، وذلك لتعدد الأجناس المقاتلة في تلك الجيوش العثمانية ، من عرب واتراك ، وبلغاري ،وألبان، ويونان ، وزنوج وغيرها ، والشئ الذي وحدهم في ذلك الاسلام الذي جعلهم أسرة واحدة .

¹ - انظر على المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ص 109

ولتحقيق الفكرة وفق تصوره، رافع شعار: ((يا مسلمي العالم اتحدوا))، حيث الوحدة والتقارب من بعضهم البعض فذلك يمثل صمام أمان في المستقبل ، وباعث من بواعث النهضة ضد الكفر. حيث كانت فكرة الجامعة الاسلامية ، في نظر السلطان عبد الحميد الثاني ، أن تحقق أهدافا من بينها :

- التصدي للمستغربين الذين تأثروا بالثقافة الغربية ، والذين يشغلون مناصب سامية في الدولة العثمانية.
 - منع الدول الاستعمارية الأوروبية وروسيا ، والحد من اطماعهم.
 - كون المسلمين أن يشكلوا قوة سياسية عالمية ، باستطاعتها أن تواجه الغزو الفكري والعقدي الروسي، الأوروبي والنصراني.
 - التأثير في السياسة العالمية بهذه الوحدة الاسلامية الجديدة.
 - تقوية الدولة العثمانية واعادة هيبته، وتسليحها بكافة الأجهزة العلمية الحديثة .
 - إحياء منصب الخلافة الاسلامية كوحدة لتقوية الشعور للمسلمين جميعا.
- وفي هذا السياق ، أثار المؤرخ البريطاني ((أرنولد تويني)) في قوله ((إن السلطان بد الحميد ، كان يهدف من سياسته الاسلامية ، تجميع مسلمي العالم تحت راية واحدة ، وهذا لا يعني إلا هجمة مضادة ، يقوم بها المسلمون ضد هجمة العالم الغربي التي استهدفت عالم المسلمين))¹ .
- جند السلطان عبد الحميد الثاني ، كل الوسائل والامكانيات المتوفرة لديه في ذلك الوقت ؛ لإنجاح المشروع ، حيث سخر الدعاة من مختلف أنحاء العالم الاسلامي والعلماء البارزين الذين يمتلكون حنكة في السياسة، والدعاة الذين يمكن أن يسافروا إلى مختلف اصقاع العالم الاسلامي ، للالتقاء بالشعوب الاسلامية ، والسماع منهم وتبليغهم بآراء ، وتوجهات السلطان عبد الحميد الثاني .

¹ - انظر علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الاسلامية ، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية

حيث شرع الخليفة في نشر العلوم الاسلامية ، وأنشأ مراكز الدراسات الاسلامية في الداخل والخارج ، كما قام بطبع الكتب ، والاعتناء بالمساجد من تجديد وترميم ، والقيام بحملات البرع لها ، كما عمل على استمالة الكثير من الزعماء ومشايخ الطرق والعلماء، من الأقطار العربية ، كما أنشأ مدرسة في عاصمة الخلافة ؛ لتعليم أولاد رؤساء العشائر والقبائل ، واستفاد من الصحافة الاسلامية في الدعاية للجامعة الاسلامية ، والعمل على تطوير النهضة العلمية والتقنية في أجهزة الدولة ، وتحديث دواليبها الضرورية.

كما ساهم مجموعة من العلماء والدعاة في الدعوة إلى الجامعة الاسلامية، من أمثال جمال الدين الأفغاني ، ومصطفى كامل من مصر ، وأبي الهادي الصيادي من سوريا، وعبد الرشيد إبراهيم من سيبيريا ، والحركة السنوسية في ليبيا وغيرها.¹ وملخص القول بحمل ماسبق فيمايلي:

- 1- تأييد جمال الدين الأفغاني للجامعة الاسلامية ، بل عرض مشروعاً يرمي إلى توحيد أهل السنة والشيعة ، واستفاد السلطان عبد الحميد الثاني منه كثيراً ؛ في الدعاية للجامعة الاسلامية ، رغم الاختلاف الحاصل بينهما.
- 2- اتخذ السلطان عبد الحميد الثاني من الطرق الصوفية ، وغيرهم من العلماء ؛ وسيلة للدعاية للجامعة الاسلامية، حيث كون لجنة مركزية مكونة من علماء ومشايخ الطرق الصوفية ، كمشاركين له في شؤون الجامعة الاسلامية.
- 3- اتخذ اللغة العربية ؛ لغة رسمية للدولة العثمانية .
- 4- الاهتمام بالمدارس ومراقبتها بشدة خوفاً من التأثير ؛ بالفكر الغربي ، كما اهتم بشؤون المرأة ، وجعل للفتيات دار للمعلمات ، ومنعهن من الاختلاط بالرجال ، ومحاربة سفور المرأة.

¹ - انظر علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الاسلامية ، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية

5- انشاء مدرسة لتعليم أبناء العشائر العربية ،من ولايات حلب ، وسوريا ،وبغداد، والموصل ،وديار بكر ،واليمن ،والحجاز ، وبنغازي ،والقدس ، ودير الزور ، حيث كانت مدة الدراسة تقدر بخمس سنوات ، يتعلم الطفل فيها علوما اسلامية إضافة إلى اللغة العربية والفارسية والتركية وبعض فنون الأخرى، ومصاريف الدراسة والايواء على عاتق الدولة.

6- انشاء مشروع السكك الحديدية ،الممتد من دمشق إلى المدينة المنورة ، وانشاء خطوط جديدة أخرى؛ للربط بين مختلف مناطق نفوذ الدولة ،لتسهيل عملية التواصل وبسط السيطرة والنفوذ .

7- إحباط محاولات الأعداء؛ المتمثلة في إثارة الفتن والحركات الانفصالية ضد الدولة العثمانية ،كمحاولة تأليب الأكراد في العراق من طرف انكلترا ، لكن عين السلطان كانت لها بالمرصاد.¹

حقق السلطان عبد الحميد الثاني نجاحا في توحيد صفوف الأمة وتمثل مسعاه في الأهداف الآتية:

- تثبيت دولة الخلافة الاسلامية في الداخل ضد الحملات القومية التغريبية
 - وفي الخارج تلتف جموع المسلمين حول راية الخلافة الاسلامية ،ومجابهة القوى الغربية²
- كما رفض المطلب الإنجليزي اليهودي، المتمثل في بيع فلسطين لتكون موطننا قوميا لليهود، فعندما كانت الدولة تعاني أزمة مالية خانقة ، حيث استغلها (تيودور هرتزل) للضغط على السلطان عبد الحميد من طرف الدول الأوروبية الدائنة لها ، حيث فرضت هذه الدول ،بعثة مالية متخصصة للإشراف على أوضاعها ضمانا لديونها.
- فهذه الثغرة استغلها هرتزل كي يؤثر على السلطان عبد الحميد الثاني ،حيث يقول هرتزل في مذكراته:(علينا أن ننفق عشرين مليون ليرة تركية لإصلاح الأوضاع المالية في تركيا ...مليونان

¹ - انظر علي محمد الصلابي،السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الاسلامية،صيدا-بيروت،المكتبة العصرية

2002،ص33إلى50،

² - نفس المرجع السابق،ص51

منها ثمنا لفلسطين والباقي لتحرير تركية العثمانية بتسديد ديونها تمهيدا للتخلص من البعثة الأوروبية ... ومن ثم نقوم بتمويل السلطان بعد ذلك بأي قروض جديدة يطلبها)¹

زار هرتزل القسطنطينية في خيزران عام 1896م رفقة (نيولنسكي) الذي كان صديق السلطان عبد الحميد الثاني، فنقل له رسالة هرتزل، فدار بينهما حوار حيث قال السلطان له: (هل بإمكان اليهود أن يستقروا في مقاطعة أخرى غير فلسطين؟ أجاب نيولنسكي قائلاً: تعتبر فلسطين هي المهد الأول لليهود، وعليه فإن اليهود لهم الرغبة في العودة إليها، ورد السلطان قائلاً: إن فلسطين لا تعتبر مهذا لليهود فقط، وإنما تعتبر مهذا لكل الأديان الأخرى. أجاب نيولنسكي قائلاً: في حالة عدم استرجاع فلسطين من قبل اليهود، فإنهم سوف يحاولون الذهاب بكل بساطة إلى الأرجنتين.)²

ثم قام السلطان برسالة إلى هرتزل عبر صديقه نيولنسكي قال فيها: (انصح صديقك هرتزل، أن لا يتخذ خطوات جديدة حول هذا الموضوع، لأني لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة، لأنها ليست ملكي، بل هي ملك شعبي. وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض، ورووها بدمائهم؛ فليحتفظ اليهود بملايينهم. إذا مزقت دولتي من الممكن الحصول على فلسطين بدون مقابل، ولكن إذا لزم الأمر فليبدأ التمزيق أولاً في جثتنا، ولكن لا أوافق على تشريح جثتي وأنا على قيد الحياة.)³

¹ - انظر علي محمد الصلاحي، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية

2002، ص57

² - نفس المصدر السابق ص57

³ نفس المرجع السابق ص59

المطلب الثاني: الحركات المضادة للسلطان عبد الحميد

الفرع الأول : جمعية الاتحاد والترقي اليهودية المشرب

تأثر الشباب العثماني المثقف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، بأفكار الثورة الفرنسية ، والتي كرست مبدأ العلمانية والتحرر من الملكية والدين ، وحكمت بالديمقراطية، و تأثرت بحركة(ما تزيني)الإيطالية التي تدعو إلى القومية .

ومعلوم أن الدول الأوروبية كانت تحاول جاهدة اضعاف الدولة العثمانية وتفتيتها،فكانت دائما تبحث عن حجج للتدخل في شؤون الدولة العثمانية بإسم حماية النصارى ، وفي هذه الأوضاع في سنة 1865م اجتمع ستة من الشباب المثقفين العثمانيين في حديقة(غابة بلغراد) ضواحي استانبول ، تحدثوا في موضوعات سياسية ،وخرجوا بفكرة تكوين جمعية سرية على غرار جمعية إيطاليا الفتاة سنة 1831م،بهدف الوحدة الايطالية ،تحت راية الجمهورية،اطلقوا على انفسهم (اتفاق الحمية)، ومن بين هؤلاء الشباب ، الشاعر نامق كمال ، وكانوا يرون أن عملهم يهدف إلى تعريف الشعب بحقوقه السياسية ، وأن شعوب النصارى لها الحق في الاستقلال، مما يحجم الدول الأوروبية ؛عن التدخل في شؤون الدولة بحجة الأقليات النصرانية ،ويرون أن حالة انقاذ البلاد من التدهور والتردي ، لا تكون إلا بنظام سياسي ،ديمقراطي على غرار الثورة الفرنسية .

فقدم مصطفى باشا الأمير المصري نفسه للأوروبيين على أساس أنه ممثل (حزب تركيا الفتاة) ،مما أثار اعجاب الأوروبيين بهذا الاسم. وفي أثناء ذلك التحق ثلاثة من الاعلاميين الثوريين وهم: نامق كمال ، ومحمد ضياء ، وعلي سعاوي، بالأمر مصطفى فاضل في باريس وكونوا منظمة أسموها (جمعية العثمانيين الجدد)، وكان من اشهر مؤثريها الشاعر كمال نامق على الساحة الأوروبية ، كونه مثقف ثقافة اسلامية ،ومتأثر بالفلاسفة الفرنسية امثال روسو ، وله

كتابات عديدة أدبية وتاريخية وغيرها. حيث قدم كمال نامق مشروعاً للدستور العثماني متأثراً في ذلك بدستور نابليون الثاني ، سنة (1852م) ، وأدرج فيه فكرة الحقوق الطبيعية هي الأساس الفلسفي للحضارة الغربية المعاصرة.¹

مارست هذه الجماعة ضغطاً كبيراً على السلطان عبد الحميد الثاني ، بقيادة ممثلها مدحت باشا، حتى أجبرته على الدخول في حرب ضد روسيا، فعمل السلطان على تشتيت أعضاء الجمعية، فبدأ بنفي مدحت باشا ، عقبه بعد ذلك مؤامرتان لخلع السلطان عبد الحميد الثاني، واحدة بقيادة علي سعاوي ، والأخرى ماسونية قامت بها جمعية كلانتي سكاليري-عزيز، هذه المؤامرتان مدعومتان من انكلترا ، مما جعل السلطان يشدد الرقابة على الفكر الوافد والمتأثرين به، كذلك قامت خلية سرية من الطلاب في المدرسة الحربية في استانبول من أصحاب الفكر الجديد، هدفها مقاومة حكم السلطان عبد الحميد الثاني ، حيث استطاع أحد أعضاء جمعية (كلانتي-عزيزيك) الماسونية وهو علي شفقتي بك الفرار إلى نابولي ، وإلى جنيف ، حيث اصدر بين عامي 1879م و1881م ، جريدة مناهضة للحكم العثماني ، بعنوان (استقبال) وتعني المستقبل. وفي عام 1889م تأسست منظمة طلابية في المدرسة العسكرية الطبية في استانبول تدعوا إلى التحريض من طرف اساتذتها ، من أجل القيام بمعارضة الحكم، ونشر افكار العثمانيين الجدد بقيادة: ابراهيم يتمو الروماني ، المفاخر بالمحافل الماسونية الايطالية ، واطلق عليها اسم (الاتحاد العثماني) واختار يوم الاحتفال بذكرى قيام الثورة الفرنسية ، ثم سرت هذه الأفكار إلى باقي مختلف المدارس العليا الأخرى، وكانت تعمل بسرية تامة على نظام جمعية (الكاربوناري) الايطالية. حتى أن أحمد رضا بك وصل إلى منصب مدير إدارة المعارف في منطقة بورصة، وسافر سنة 1889م إلى باريس بحجة حضور معرض باريس الدولي ، ووصل

¹ - انظر علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الاسلامية، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية

إلى هناك، وأعلن عدم رجوعه إلى بلاده ، ومكث حوالي 6 سنوات في فرنسا ، ولم تصدر عنه أي حركة معارضة جديدة بالتسجيل، إلى حين أصدر جريدته (مشورات) سنة 1895م، ويذكر أن مؤسس جمعية الاتحاد والترقي إبراهيم تيمو ، كان يمضي أوقاته في الخارج حت سنة 1895م محاولا كسب أعضاء جدد لمنظمتهم.

حيث كانت اتدور المراسلات في سرية تامة بين أعضاء الجمعية في الداخل والخارج ومن ثم تم الاتفاق على وحدة العمل العسكري ، والمدني ضد السلطان عبد الحميد الثاني، حيث تغلغت خلايا الاتحاد والترقي داخل وحدات الجيش، وبين موظفي الدولة العثمانية من المدنيين، واتحدا بعد اتفاق جناحيهما العسكري والمدني في باريس ، للعمل الفعلي ضد السلطان عبد الحميد. واستطاعت أن تجبر السلطان على الدستور في 24 يوليو 1908م الذي كان قد أمر بتوقيف العمل به سنة 1877م، وكان فكرهم يركز على المفاهيم الطورانية التي تعني وطن الأتراك ،¹نسبة إلى جبل تورون في المنطقة الشمالية من إيران ،وأن الترك أقدم وأعرق حضارة على وجه الأرض من غيرهم وأنهم والجنس المغولي واحد ، ويلزم العودة الى الجامعة الطورانية ، وشعارهم في ذلك عدم التدين ويجب احياء عقائد الوثن السابقة في اسلافهم. ويفتحرون برجالاتهم في التاريخ مثل: أتلاو وطغرك ، وجنكيز خان وتيمور لنك ، حيث كان تأثير اليهود على الطوارنة واضحا كما يقول نيازي بركس في كتابه(المعاصرة في تركيا): (إن لليهود الأوروبيين والمحليين في الدولة العثمانية في القرنين التاسع عشر والعشرين دورا واضحا في إرساء تيار القومية الطورانية)

كان السلطان عبد الحميد حذرا من جمعية الاتحاد والترقي اليهودية ، بكونها حركة قوية ومتجذرة ، لكن جمعه للمعلومات عنها كان متأخر جدا، حيث دفعوا الأهالي إلى المظاهرات

¹ انظر علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الاسلامية، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية، 2002، ص77

في سلانيك ، ومناستر ، واسكوب ، وسوسن ، مطالبين بإعادة الدستور ، والتهديد بالزحف إلى القسطنطينية ، مما أدى بالسلطان إلى تلبية مطالبهم ،

رغم هذا لم تستطع جمعية الاتحاد والترقي عزل السلطان وذلك انما لم ترقى إلى القوة الكافية لعزله وأن السلطان اتبع سياسة المرونة بتنفيذ رغباتهم وأيضا موالاة العثمانيين لشخص عبد الحميد الثاني لأن الجنود كانوا يجعلونه.

أرادت الصهيونية العالمية أن تتخلص من السلطان عبد الحميد الثاني نهائيا ، فدبرت له مكيدة أحداث 31 أبريل 1909م في استانبول، مما أدى إلى اضطراب كبير وقتل فيه أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، وسمي الحادث باسم 31 مارت ، ثم عزل السلطان عبد الحميد الثاني بتخطيط أوروبي يهودي مع رجال الاتحاد والترقي . على اثره تحرك عسكر التحاد والترقي من سلانيك ودخل استانبول ، ومن ثم عزل الخليفة ووجهت له التهم التالية:

- تدبير حادث 31 مارت
- إحراق المصاحف
- الاسراف
- الظلم وسفك الدماء

هذه الجمعية تشبعت بالفكر الغربي واستغلت الدين في غفلة من أهلة ، واحتوت الرأي العام الداخلي لتحقيق مآربها.

بعد عزل الخليفة السلطان عبد لحميد الثاني، تولى الخلافة بعده أخوه محمد رشاد ، والذي كان لا يملك السلطة الفعلية ، بل كان مطية في يد الاتحاديين ، فهم من يدير دواليب الحكم.

¹ - انظر علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الاسلامية، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية، 2002، ص77

ونلخص أهداف جمعية الاتحاد والترقي فيما يلي: التحريض على إبعاد السلطان عبد الحميد عن الحكم، والعمل على إرساء دولة علمانية كالنموذج الغربي في السياسة والحكم، بعيدة عن الإسلام ، إلى أن نفذوا انقلاب عسكري ضد الخليفة، وابعاده عن الحكم في شهر أفريل 1909م، وسجنه في مدينة سالونيك، بعدها طارد الاتحاديون كل معارض ، حتى عاد الشعب إلى تدمره واستيائه من جديد، لأنهم رجعوا بالاستبداد والظلم في ثوب جديد باسم:المشروطية (الدستور) ، لكن سرعان ما عاد الاتحاديون إلى عهدهم القديم في تكريس الظلم والاستبداد، و أعلنوا سياسة التتريك دون اعتراف بحقوق القوميات الأخرى، وهذا بدوره أدى إلى ظهور قوميات معادية تطالب بالإنفصال ، كما سمحت لليهود حتى بالتدخل في تسيير شؤون الدولة وبعد إقحام الدولة في الحرب العالمية الأولى - إلى جانب الألمان- والخروج منها منهزمة، بدخول فرنسا وإنجلترا واليونان إلى الأراضي التركية، سقطت حكومة الاتحاديين وبدأت ملامح الحركة الكمالية تظهر

بوضوح، لتتسلم مشعل علمنت الدولة والتتنصل من كل ما يمد إلى الدين بصلة.

الفرع الثاني: حركة كمال أتاتورك

ظهرت على يد مصطفى بن علي (ت 1938م) بمدينة دمشق مع مجموعة من الضباط الأتراك، ولم يكن الفارق بينهم وبين الاتحاديين من زاوية الخلفية السياسية والثقافية والحضارية في شيء، بل كان الصراع بينهما صراع نفوذ وهيمنة فقط. استطاع مصطفى كمال أن يبرز على الساحة العثمانية بعد تمكنه من التقرب من ولي العهد «وحيد الدين».

كي يكون الرجل الذي يقوم بمهمة المقاومة والتحرير الوطني ضد المحتلين، بعد أن زوده بالمال الكثير. وفعلا انتظمت المقاومة، واستطاعت الانتصار على اليونان وإخراجهم من البلاد، وهو الحدث الذي رفع كمال أتاتورك عاليا، كي يظهر بمظهر المنقذ، وجعل الجماهير تهتف باسمه واضعة ثقتها فيه لإتمام مهمة الإنقاذ، فاستغل الفرصة، وأسس مجلسا جديدا للنواب استقل به عن الحكومة المركزية، ثم قام بالدعوة إلى عقد المجلس الوطني الكبير (1920-04-23م) انتخب هو رئيسا له، وفي (20 أكتوبر) أعلنت الجمهورية التركية، وانتخب الجمعية العامة الوطنية مصطفى كمال أتاتورك رئيسا لها¹.

تمّ له في الوقت نفسه تسوية الخلافات مع الدول الغربية المنتصرة في الحرب - لأن انتصاره على اليونان لم يكن حاسما- بشأن خروجهم من تركيا وعدم التدخل في شؤونها²، بعد قبوله بشروط ((صلح لوزان)) (1923م)، المعادية لكل ما يشتم منه رائحة الإسلام تتلخص فيما يلي:

- 1- إلغاء الخلافة الإسلامية، وطرده الخليفة وجميع أفراد عائلته من تركيا، ومصادرة أمواله.
- 2- التعهد بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.
- 3- قطع كل صلة بالإسلام.
- 4- اتخاذ دستور مدني بدل المستمد من الشريعة الإسلامية.

¹ - انظر الرجل الصنم كمال أتاتورك، ترجمة عبد الله عبد الرحمان، ط1، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 2013، ص295

² - انظر المرجع نفسه ص289

ثم تلاه قوانين تهدم عرى الإسلام عروة عروة: فسن قانون الخيانة العظمى نكّل من خلاله بكل معارض، وطارذ بموجبه العلماء ونخبة المجتمع، وكان من بينهم بديع الزمان النورسي الذي أخذ من صومعته في جبل أرك ونفي إلى بارلا

ثم تأسس حزب الشعب الجمهوري (1922م) الذي عمل على القضاء على جذور الأمة التركية، فألغى الخلافة في 03.03.1424م وسن القوانين المعادية للدين، أهمها ما يأتي:

- إلغاء تدريس الدين و القرآن و غلق مدارسه ، و إلغاء وزارة الأوقاف والشؤون الدينية و إصدار قانون (إقرار السكون) لإخمد كل الثورات، و إصدار قانون القيافة (إقرارالزي الأوروي) الذي يلزم بلبس القبعة، و وخلع الحجاب عن النساء، وإجبار موظفي المساجد على ارتداء الزي الأوروي، استبدال قوانين الشريعة كافة، بالقانون السويسري، و إبدال خطبة الجمعة بالتركية، وحذف كلمة "الله" من قَسَم الدولة ، وإخراج جميع التعابير و الإصلاحات الدينية من الدستور، و إقرار الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية المستعملة، و حظره اللغة العربية، وترجمة القرآن الكريم إلى التركية، وفرض الأذان بالتركية جعل يوم الأحد عطلة الأسبوع بدل الجمعة. و تحويل مسجد أيا صوفيا إلى متحف، و إصدار قرار يقضي بفرش المساجد بالكراسي، حيث تتم تلاوة القرآن بمصاحبة الموسيقى، إلا أنه لم ينفذ، و تدريس الإلحاد رسميا في المعاهد والقرى.

الفرع الثالث: تركيا ما بعد كمال أتاتورك

عين "عصمت إينونو"¹، الذي استمر على سياسة سلطة أتاتورك. لكن اضطرت الحكومة التركية -خاصة بعد الحرب العالمية الثانية- إلى تبديل وجهة نظرها تجاه التضييق على الإسلام، بعد إعلان نظام تعدد الأحزاب السياسية سنة 1946م أدرجت ميولات التدين في الخطابات السياسية والحملات الانتخابية حساباً لميول الشعب الديني، مما أدى إلى نوع من الانفراج مباشرة بعد نشأة المعارضة السياسية وفتح باباً لاستئناف التعليم الديني والتوسع فيه، و تطورت فكرة العلمانية في الجمهورية من الإقصاء الكلي للدين وفصله عن السياسة إلى احترامه، حتى أن الحزب الديمقراطي تبني النظرية العامة التي تقول "إن المجتمع التركي مجتمع إسلامي" واستطاع الفوز على حزب الشعب -الذي أسسه أتاتورك- في انتخابات (14 أيار 1950م).

ولما تسلم عدنان مندريس -صاحب الحزب الديمقراطي - الحكم كرئيس للوزارة في عهدة الرئيس جلال بايار، شرع في تنفيذ وعوده التي وعد بها الشعب، في فتح المجال للعودة التدريجية إلى الإسلام. فأعاد حرية الرأي و التدين والنقد، وأرجع الآذان باللغة العربية وسمح للعلماء بالتحدث عن الإسلام و الدفاع عنه بالقلم واللسان في شتى المجالات، كما سمح بتعليم اللغة العربية، ودراسة القرآن في جميع المدارس، وأنشأ عشرة آلاف مسجد، ومعهداً لتخريج الوعاظ والخطباء، وسمح بإصدار المجلات والكتب المتبناة للمنهج الإسلامي الأصيل، وقام بسحب سفير تركيا من إسرائيل، وأعاد السفير اليهودي إلى حكومته.

وفي خضم هذه الأجواء التي أبهجت المجتمع التركي، تحركت آلة العداة للإسلام، واستطاع أصحاب مشروع التغريب القيام بانقلاب ناجح ضد مندريس وحكومته في (ماي 1960م) بقيادة الجنرال « جمال جورسيل »، ليساق بعدها مندريس إلى منصة الإعدام في (17/09/1961م) لا لشيء إلا لأنه حاول تحقيق مطالب الشعب التركي، للعودة به إلى التزام أحكام دينه الحنيف.

¹ - انظر الرجل الصنم كمال أتاتورك، ترجمة عبد الله عبد الرحمان، ط1، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2013، ص

خلال هذه الفترة المضطربة من حياة الدولة ، عاش بديع الزمان النورسي داعية ومصلحا ومجددا، وهنا لنا أن نتساءل: ترى كيف كان منهجه في التعامل مع هذه الأوضاع المتقلبة. وما هي منجزاته الإصلاحية فيها؟ وما مضمون خطته الإصلاحية؟ وقبل الإجابة على هذه التساؤلات يفرض علينا البحث العلمي أن نتطرق لحياته ونشأته العلمية أولا، ثم نثني بالمشروع الإصلاحي المتعامل به مع واقع عصره المريض.

المبحث الثاني: حياة بديع الزمان النورسي وجهوده الإصلاحية:

المطلب الأول : المولد والنسب والنشأة العلمية.

الفرع الأول: الميلاد والنسب

وُلد بديع الزمان سعيد النورسي سنة 1293هـ/1876م، بقرية ((نورس)) وهي إحدى قرى قضاء ((خيزان)) التابعة لولاية ((بتلس)) شرقي الأناضول¹. لُقّب بالنورسي: نسبة إلى قرية ((نورس)) مسقط رأسه، وسماه بديع الزمان أستاذه الملا فتح الله، بعد أن وجده آية في الذكاء والحفظ². والده ((ميرزا)) ينتهي نسبه كما تذكر إحدى الروايات إلى الإمام الحسن -رضي الله عنه- وأمه ((نورية)) ينتهي هي الأخرى نسبها إلى الإمام الحسين -رضي الله عنه-. كان يضرب المثل بوالده في الورع، لم يذق حرما ولم يطعم أولاده من غير الحلال، حتى أنه كان إذا عاد بمواشيه من المرعى، شد أفواهها كي لا تأكل من مزارع الآخرين. وتقول أمه نورية أنها لم ترضع أطفالها إلا على طهر ووضوء³.

¹ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص 35

² - انظر المرجع نفسه ص 58

³ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص 58

الفرع الثاني: حياته العلمية

تربى بديع الزمام النورسي وترعرع في أسرة متدينة، محبة للعلم و أهله، مما يسر له النشأة على مبادئ الدين وتعاليمه، ويتحدث عن نفسه بقوله: «أقسم بالله: إنَّ أرسخ درس أخذته، وكأنه يتجدد علي، إنما هو تلقينات والدتي -رحمها الله- ودروسها المعنوية، حتى استقرت في أعماق فطرتي وأصبحت كالبذور في جسدي في غضون عمري الذي يناهز الثمانين»¹. بدأ تحصيله العلمي سنة 1303هـ/1885م بتعلم القرآن الكريم في قريته ((نورس))، وبعد أن أتم حفظه تحمس لطلب العلوم بعد رؤية رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم يبشره فيها أنه سيوهب له علم القرآن الكريم²، فرحل إلى قرية ((تاغ)) لينضم إلى مدرسة الملا أمين أفندي، ثم عاد إلى قريته مكتفياً بما يدرّسه له أخوه الكبير الملا عبد الله، ثم شد الرحال إلى عدة مدارس بالقرى المجاورة ليستقر في الأخير عند أخيه الملا عبد الله في قرية ((نورشين))³. بدأ دراسته الحقّة في بلدة ((بايزيد)) -إذ لم يكن حصل إلى الآن سوى مبادئ النحو والصرف- اتصل فيها بالشيخ محمد الجلاي، الذي أتمّ على يده قراءة جميع الكتب المقررة على الطلاب في شرق الأناضول في ثلاثة أشهر، حصل خلالها على إجازة منه، وكان يقرأ في الفترة ذاتها ما يقارب من مائتي صفحة أو يزيد يومياً، من متون أمهات الكتب، كجمع الجوامع للسبكي وشرح المواقف للإيجي وتحفه المحتاج لابن حجر، وكان أثناءها منقطع العلاقة بالحياة الاجتماعية لكثرة انشغاله بالدرس والقراءة⁴. توجه بعدها إلى الشيخ محمد أمين أفندي في ((بتلس)) وبعد مضي يومين من الجلوس إلى حلقة درسه، وجد الشيخ أن التلميذه -لما أحاط به من العلوم- أهلٌ للمشيخة، فطلب إليه ارتداء زي العلماء (الجبة) وخلع زي الدراويش، ولكن بديع الزمان رد قائلاً: ((إنني لم أبلغ الحلم، فلا أجدني لائقاً بلبس لباس العلماء، وكيف أكون عالماً وأنا

¹ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص 65

² - انظر المرجع نفسه ص 67

³ - انظر المرجع نفسه ص 70

⁴ - انظر المرجع نفسه ص 70

مازلت صبياء))¹. ومما يشهد لنبوغه المبكر الحادثة الآتية التي حدثت بينه وبين أخيه الملا عبد الله الذي سأله قائلاً: - لقد أنهيت كتاب ((شرح الشمسية))² فماذا قرأت أنت؟- لقد قرأت ثمانين كتاباً! - ماذا تعني؟- لقد أنهيت الكتب المقررة كلها، بل قرأت كتباً أخرى علاوة عليها. - إذن سأمتحنك.

وبعد امتحانه، ثم إصغائه لأجوبته السديدة، قدر فيها الكفاءة العلمية، حتى أنه اتخذته أستاذاً له بعد أن كان قبل ثمانية أشهر تلميذاً له³. التحق بعدها بمدرسة الملا فتح الله أفندي في ((سعد))، وكان كلما عرض عليه الشيخ كتاباً ليقراه، أجابه سعيد النورسي أنه قد أتم قراءة الكتاب، فتعجب منه وعزم على امتحانه، فكان كلما سأله سؤالاً حول موضوع من مواضيع الكتب التي ادعى قراءتها - وكان يختار منها المسائل المعقدة - أجابه جواباً شافياً وافياً⁴.

و في سنة 1311هـ / 1894م انزوى في ((تيلو)) تحت ((قبة خالية))، حفظ خلالها من كتاب "القاموس المحيط" للفيروز أبادي إلى باب السين⁵، وحدث له أن ناظر جمعا من العلماء في جزيرة "ابن عمر" فظهر عليهم واعترفوا له بقولهم: ((حقاً إنك قد ألزمتنا الحجة، فإننا معترفون بذلك)) وجلس بعضهم منه مجلس الطالب⁶، ثم رحل إلى مدينة ((ماردين)) التي أراد علماءها أن يفحموه في مناقشات جرت بينه وبينهم إلا أنهم لم يوفقوا، ثم انتقل إلى مدينة (بتلس) التي أحس - خلال مكوثه فيها- بخفوت سائحاته القلبية وفيوضاته الوهبية، التي كان يتغلب بها على العلماء في مناظرتهم له، ولم يدر سر ذلك، فعكف سنتين على حفظ متون أمهات الكتب من كل علم⁷. لبي بعدها دعوة الوالي حسن باشا الذي دعاه إلى وان(عام

¹ - انظر المرجع السابق ص70

² - الشمسية: رسالة في قواعد المنطق لنجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكتابي (600-ت675هـ) شرحها التفتازاني والتحتاني(766)، سماه تحرير القواعد المنطقية في شرح الشمسية.

³ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص74

⁴ - انظر المرجع نفسه ص 75

⁵ - انظر سيرة ذاتية ص77

⁶ - انظر المرجع نفسه ص79

⁷ - انظر سيرة ذاتية ص83

1314هـ / 1897م) لخلوها من عالم مشهور، فاستقر بها خمسة عشر سنة، اطلع خلالها على علوم عصره الحديثة في شتى المجالات: تاريخ، جغرافيا، رياضيات، جيولوجيا، فيزياء، كيمياء، فلك، فلسفة... الخ، وناظر فيها كثيرا من مدرسيها، مجيبا عن أسئلتهم بدقة تامة¹. ونظراً لتعدد مواهبه وقوة ذكائه، وإلزامه لكل من ناظرهم في مختلف العلوم، أطلق عليه العلماء لقب ((بديع الزمان))، وكان أول من سماه كذلك الملا فتح الله من « سعرد »، تشبيها له ببديع الزمان الهمداني² الذي كان نابغة في الذكاء وسرعة الحفظ³.

¹ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص83

² - هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمداني المعروف ببديع الزمان، صاحب المقامات الأدبية

الشهيرة، توفي سنة 398هـ / انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ج 1 ص127

³ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص88

المطلب الثاني : نضاله السياسي والفكري ووفاته وارثه العلمي

الفرع الأول: جهوده السياسية والفكرية

كان مصححا فعالا؛ سياسيا وفكريا في المجتمع التركي خاصة، والأمة الإسلامية عامة، نلخصها في النقاط الآتية:

1- كانت بداية اهتمامه بالسياسة بمدينة ((ماردين)) ولكثرة نشاطاته السياسية والاجتماعية، ومناصرته بالحرية، صرفه متصرف البلدة إلى مدينة ((بتلس))¹. ورغم هذا النشاط فقد كانت حياته إلى سنة 1316هـ/ 1899م لم تأخذ بعد اتجاهها واضحا في ما يدور حوله من أحداث، إلى أن ابغىه الوالي طاهر باشا ((بمؤامرة أوروبا حول القرآن الكريم، إذ سمع منه أن الوزير البريطاني قد قال: ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم حكما حقيقيا، فلنسع إلى صرفه عنهم))² فحدث له انقلاب فكري في حياته، وأعلن لمن حوله قائلا: ((لأبرهن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها))³ فبدأ أولاً بتدبر القرآن الكريم، متخذا منه معلما ومرشدا في تزكية نفسه، وفي التعامل مع مجتمعه المريض. ثم توجه عام 1325هـ/ 1907م إلى استانبول لبيدأ جهاده المعنوي)⁴ ، وأول ما بدأ به المناظرة والمناقشة للعلماء، قاصدا التنبيه إلى إعادة النظر في طرق التدريس، خاصة في مجال العلوم الدينية، قصد تشويق الطلاب إلى العلوم بأساليب جديدة، مما لفت الأنظار إلى وجهة نظره، أن كتب على باب غرفته عبارة تقول ما معناه: ((هنا يحل كل أمر معقد ويجاب عن كل سؤال دون أن يسأل أحدا))

2- اتصل في كل مرة تتجدد فيها السلطة الحاكمة بالمسؤولين، للمطالبة بتحقيق ما يساعد الأمة على تدارك ضعفها وعجزها: فاتصل بالسلطان عبد الحميد الثاني في استانبول وقدم عريضة يطلب فيها ما يلي:

¹ - انظر سيرة الذاتية ص81

² - المرجع نفسه ص88

³ - المرجع نفسه ص89

⁴ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص90

- إنشاء مدرسة الزهراء لتدرّس العلوم الشرعية.

- إنشاء مجلس للشورى، للفتوى.

- الصدق والأمانة في أداء وظيفتهم، وضمان مستقبل العلماء¹.

3- ساند جمعية سياسية إسلامية تدعى ((الاتحاد المحمدي)) - التي تأسست عام 1327هـ/1909م- وقد أظهر براعة في دعم إصلاحاتها، وتوجيه النصح لها فيما رأى أنها أخطأت فيه، كما رد عنها كل الشبهات التي أثّرت حولها من طرف الخصوم أو قاصري الفهم².

4- ساهم في العديد من المرات في تهدئة الأوضاع بالبلاد:

قام بذلك إبان إعلان الحرية (المشروطة) بمجموعة خطب، إذ لم يجد الناس -على اختلاف مستوياتهم وإسهاماتهم في المجتمع- فهم واستعمال معنى الحرية بطريقة سليمة³. وفعل الشيء نفسه مع الجنود الذين أعلنوا التمرد والعصيان ضد الحكومة في وزارة الحرية في 22 ربيع الأول 1327هـ (نيسان 1909م)، وردهم إلى الطاعة من جديد

5- شارك في العمل الصحفي بنشر عدة مقالات هادفة⁴، وألقى العديد من الدروس الاجتماعية والمحاضرات العلمية. كما رحل إلى الشام في 1329هـ/1910م، وألقى هناك خطبة مشهورة (بالخطبة الشامية) أبان فيها علل المسلمين وسبب ضعفهم، وفرض الحلول لها وفق تصوره للخروج من التخلف الحضاري⁵.

((وتلك الأمراض هي:

أولاً: حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه

ثانياً: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

ثالثاً: حب العداوة

¹ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص114

² - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص119

³ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص131

⁴ - انظر المرجع السابق ص 101/

⁵ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص141

رابعا: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

خامسا: سريان الاستبداد سريان الأمراض المعدية المتنوعة.

سادسا: حصر المهمة في المنفعة الشخصية¹.

بين النورسي هذه الأمراض ، ووصف لها العلاج من خلال هدي القرآن الكريم على حد قوله ، حيث حصرها في ست كلمات .

6- اشترك في الجهاد الفعلي عدة مرات:

فكان ممن تصدى برفقة طلبته لعصابات ((الأرمن)) وفدائيو ((الطاشناق))، الذين كانوا يغيرون على ((وان)) بين الفينة والأخرى، والذين أثاروا الحيرة في صفوف عسكريها وأدخلوا الرعب في قلوبهم، فاستطاع هو وطلبته إجبارهم على التراجع². واشترك في الحرب العالمية الأولى ضد الروس، بعد تكوين مجموعة (قتالية الأنصار) من طلابه والمتطوعين عام 1916م، وعين قائدا عام لها في جبهة ((القفقاس))، وقد أبلى بلاء حسنا، حتى أن الروس لم يجدوا بدا من الاعتراف ببسالته ومجموعته قائلين عنهم: ((إن متطوعي بديع الزمان تفوقوا على فدائيي الأرمن في بسالتهم حتى تمكنوا من سحق القازاق))³. وقع النورسي خلال هذه الحرب أسيرا لدى الروس -بعد أن أثخنته الجراح في إحدى الاشتباكات وأعجزته عن الحراك - وأرسل إلى معسكر الأسرى في ((قوسترما)) وبعد سنتين وأربعة أشهر من الأسر، قبض الله له فرصة النجاة، وفر بأعجوبة- بعد أن كاد اليأس يملأ قلبه ويقطع أمل عودته إلى وطنه- فرجع إلى استانبول مارا ((بوارشو)) ((وفينيا))، واستقبل فيها استقبالا حارا، حضره الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام⁴، وعين إثرها عضوا في دار الحكمة⁵ ألحقها بعد الطباعة بكتاب صيقل الإسلام. كما وقف في وجه الجيش الإنجليزي الذي احتل استانبول عام 1920م بتأليف ونشر

¹ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص142

² - انظر المرجع نفسه ص146

³ - انظر المرجع نفسه ص 156-158

⁴ - انظر المرجع نفسه ص163

⁵ - هي هيئة علمية عليا تابعة للمشيخة الإسلامية العامة للدولة العثمانية، تضم كبار العلماء انظر: سيرة ذاتية

لنورسي ص.(165)

رسالة ((الخطوات الست لمقاومة الإنجليز)) مما أسهم في إفشال خطة القائد الإنجليزي الذي كان يبغي توسيع الخلاف بين المسلمين وصنع لنفسه مكان المنقذ بينهم، ولم يمنع القائد الإنجليزي - بعد اطلاعه على الرسالة- من إعدام النورسي إلا الخشية من تثوير غضب وسخط الأمة التركية ضده، التي قد تقف في وجهه يدا واحدة دون تردد¹. ومن مواقفه لدفع انشقاق الأمة التركية، معارضته بشدة للأكراد الذين دعوا إلى إنشاء دولة كردية بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب وتشتتها.

7- وقف بحزم في وجه كمال أتاتورك وتدابيره المعادية للإسلام، وصارحه بذلك أمام مجلس الحكمة، ولما أحس هذا الأخير بخطورته حاول احتواءه بتقريبه عن طريق الإغراء بوظيفة الواعظ العام في للولايات الشرقية، وراتب قدره ثلاثمائة ليرة، وتعيينه نائبا في المجلس النيابي، في رئاسة الشؤون الدينية مع دار الحكمة الإسلامية، لكن بديع الزمان رد جميع هذه العروض، وقال -بعد أن خبر الرجل-: ((اقتنعت بأن من المستحيل التفاهم مع هذا الشخص، أو التعامل معه، أو الوقوف أمامه، فنبذت أمور السياسة والحياة الاجتماعية وحصرت وقتي في سبيل إنقاذ الإيمان فقط))². توجه بعدها إلى ((وان)) وهو يرى أن أول واجب يلزم القيام به ، هو خدمة الإيمان وإظهار حقائق القرآن الكريم في زمن أصبح فيه الخوض في السياسة يفسد أكثر مما يصلح³.

8- كان ظهور الثورات المناهضة للسياسة التركية - إبان إعلان الجمهورية وإسقاط الخلافة- السبب الرئيس في اعتقاله سنة 1342هـ/1925م - رغم عدم مشاركته فيها- خوفا منه بسبب اتساع وزنه الروحي والاجتماعي في الوسط الكردي. فسيق من ((وان)) إلى ((بورودو)) ثم إلى ((أسبارطة)) ثم إلى ((بارالا))⁴. ويعتبر النورسي ما تعرض له؛ بسبب فتور همته عن خدمة القرآن، وانشغاله بإصلاح نفسه وخدمة آخرته⁵. قضى النورسي أغلب حياته

¹ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص 175

² - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص 220،

³ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص 233

⁴ - نفس المرجع السابق ، ص 242

⁵ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص 418

الأخيرة - بعد اعتزاله السياسة - بين نفي وسجن، من همكا فيها بكتابة رسائل النور التي بدأها في (بارلا) والتي جعلها عمدة وسائله للإسهام في إنقاذ إيمان الناس من الضياع، وفق ضرورات المرحلة وإكراهات الواقع.

كما تسنى لمجموعة من بعض طلابه نشر مجموعة من رسائل النور بعد طبعها في المطابع بالأحرف الجديدة (اللاتينية)¹.

9- ولما زال التضييق على الإسلام في عهد حكم الحزب الديمقراطي، الذي صاحبه التخفيف عن الحريات الفردية والاجتماعية، فكان نشاطه أكثر بروزا من ذي قبل، حتى أنه أرسل رسالة تهنئة إلى رئيس الجمهورية (جلال بايار) سنة 1950م² بعد نجاحه في الانتخابات، وقام بنشر عدة مقالات في الجرائد لتوجيه الأحداث العامة لمسيرة البلاد³. لكن رغم هذا الانفتاح كان لا يزال يعاني من مضايقات أعداء الحركات المتبناة للإصلاح وفق التصور الإسلامي، إذ تمكنوا من إثارة السلطات ضده من جديد سنة 1953م، فاستدعي إلى المحكمة، بسبب نشره لرسالة (أكبر برهان) في جريدة (الجهاد الأكبر)، وبعد «انتهاء الإجراءات اللازمة أصدرت المحكمة قرارها بالبراءة، إذ لم تجد في تلك المقالة ما يؤخذ عليها»⁴ وكانت هذه آخر مرة يتعرض فيها للمحاكمة. ثم جاءت البشرية بتبرئة (رسائل النور) نهائيا، فبعد أن كانت محكمة ((أفيون)) قد شكّلت لجنة خبراء لتدقيق رسائل النور، منذ سنة 1948م، فيما إذا كانت تحتوي على ما يؤخذ عليه القانون أم لا؟ دام التدقيق ثمان سنوات، حيث أصدرت بعده المحكمة قرارها الأخير في 11-09-1956م بأن الرسائل تخلو من أي مخالفة للقانون، وبعد هذا القرار بات طبع رسائل النور وتوزيعها علنا أمرا ممكنا وميسرا، فكان الأستاذ يشرف على تصحيح النسخ بنفسه قبل طبعها، وقد فرح حينها بذلك فرحا كبيرا، وهو يقول:

¹ - انظر المرجع نفسه ص 243

² - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص 492.

³ - انظر سيرة ذاتية ص 513

⁴ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص 527

((هذا هو عيد رسائل النور، كنت انتظر مثل هذا اليوم، لقد انتهت مهمتي إذن وسأرحل قريبا)).¹

¹ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص527

الفرع الثاني: وفاته

قضى بديع الزمان النورسي السنوات الأخيرة من حياته في مدينة ((إسبارطة))، مع زيارات متجددة إلى مدينة الذكريات ((بارلا)) التي شهدت أول انبثاق لحركة ورسائل النور¹. كان مثواه الأخير في مدينة ((أورفة)) يوم الأربعاء 25 رمضان 1379م (23 مارس 1960م)، تاركاً خلفه كثيراً من طلاب النور الحقيقيين تدعمهم رسائل النور، معينة لهم على مواصلة الدرب².

¹ - انظر المرجع نفسه ص 528

² - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص 547

الفرع الثالث: تركته العلمية

أول ما نشر بالعربية ((إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز)) (1918م)، ثم قزل إيجاز في المنطق ط(1921م)، أما باللغة التركية فنشر (السنوحات) ط(1923م). وفي سنة 1921م كان قد نشر الرسائل الآتية: رموز، إشارات، طلعات، لمعات، شعاعات من معرفة النبي صلى الله عليه وسلم، نقطة من معرفة الله جلّ جلاله .

رسائل النور نسخها الشيخ باليد، إلى أن تيسر الأمر وطبعت لأول مرة بالرنيو، ولم يتح لها أن تطبع في المطابع الاعتيادية رسمياً إلاّ سنة 1956م، لكنها بقيت تطبع - بعد وفاة النورسي - على يد طلبته متفرقة، إلى أن سخر الله لها الأستاذ: إحسان قاسم الصالحي، الذي قام بتحقيقها وترجمة المكتوب بغير العربية ومن ثم في مجلدات ، تحت عنوان: ((كليات رسائل النور))، وهي كالآتي:

- الكلمات المكتوبات، اللمعات، الشعاعات (فقه دعوة النور)، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، المثنوي العربي النوري، الملاحق، صقيل الإسلام (آثار سعيد القديم)، سيرة ذاتية

الفرع الرابع: تلامذته

ترك النورسي خلفه كثيراً من الطلبة، منهم المنتمين إلى حركة النور والمرتبطين برسائل النور ارتباطاً مباشراً، و نذكر بعض طلبته الشهيرين الذين تتلمذوا على يديه مباشرة¹

1- الحافظ توفيق الشامي: (1887-1965م) من أوائل طلاب النور، ومن كتاب الرسائل، يلقب بالحافظ لحفظه القرآن الكريم وبالشامي لطول بقائه بالشام بصحبة والده الذي كان ضابطاً هناك، وهو مشهود له بالصلاح والعلم والتقوى لازم الأستاذ في بارلا وفي سجون اسكي شهر ودينزلي.²

2- خلوصي يحي كيل: من السابقين الذين تتلمذوا على يد الأستاذ النورسي في بارلا، وكان حينها ضابطاً برتبة نقيب، وكان يبعث إلى أستاذه بأسئلته وما يستفسر عنه من أمور إيمانية، جمعت هذه الأجوبة بتوجيه من الأستاذ نفسه وسميت ب(مكتوبات). توفي سنة 1976م عن واحد وتسعين من العمر.³

3- عبد الحميد: هو أصغر اخوة الأستاذ النورسي، ترجم كثيراً من رسائله إلى العربية وترجم (إشارات الإعجاز (و) المثنوي العربي) إلى التركية، كان مدرساً ثم مفتياً للعلوم الإسلامية. توفي سنة 1967م عن ثلاث وثمانين سنة من العمر.⁴

4- عبد الرحمن عبد الله: ابن شقيق الأستاذ النورسي ولد سنة 1903 في نورس وتوفي سنة 1928 ودفن في قرية (ذو الفضل) في أنقرة، كتب تاريخ حياة الأستاذ منذ ولادته وحتى عام 1918 ونشره بكتاب طبع في استانبول.⁵

5- سيراني صنو خسرو: كان في مقدمة الذين استنسخوا المئات من الرسائل ونشروها في احلك الظروف، وقضى معظم حياته مع أستاذه في سجون اسكي شهر ودينزلي وآفيون، وهو

¹ - تعليقات احسان قاسم الصالحي على رسائل النور التي كان يترجم فيها للطلبة الذين ترد أسماءهم فيها.

² - انظر سعيد النورسي: المكتوبات، ترجمة احسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص33

³ - انظر سعيد النورسي: المكتوبات، ترجمة احسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص15

⁴ - انظر سعيد النورسي: المكتوبات، ترجمة احسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص15

⁵ - انظر سعيد النورسي: المكتوبات، ترجمة احسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص105

الذي كتب مصحفاً بتوجيه من الأستاذ النورسي، لإظهار الإعجاز في التوافقات اللطيفة لاسم الجلالة في الصفحة الواحدة، ولد في اسبارطة سنة 1899م وتوفي في استانبول سنة 1977م.¹ قال عنه النورسي: « من المشتاقين لرسائل النور، ومن طلابي الأذكياء المجددين ».²

6- السيد سليمان: وهو الذي خدم الاستاذ النورسي في منفاه « بارلا » طوال ثماني سنوات، كان مثلاً للصدق والوفاء والاحلاص، توفي في سنة 1965م.³

7- المعلم أحمد غالب: من أوائل طلاب النور، خطاط وشاعر، له ديوان شعر مخطوط، ولد في (يالواج) سنة 1900م، وتوفي في شباط 1940م.⁴ قال عنه النورسي: «لقد خدم هذا الأخ بإخلاص وصدق في تبييض الرسائل، فقام بخدمات جليلة كثيرة، ولم يبد منه ضعف أمام أية مشكلة من المشاكل مهما كانت، كان يحضر الدرس في أغلب الأوقات وينصت بكل اهتمام وشوق، ويستنسخ الرسائل لنفسه أيضاً، حتى استكتب لنفسه جميع الكلمات والمكتوبات لقاء أجره قدرها ثلاثون ليرة، كان يقصد من وراء هذا الاستنساخ نشر الرسائل في مدينته، وارشاد أصدقائه».⁵

8- الحافظ خالد: هو خالد عمر لطفي أفندي، من أوائل طلاب النور وكتاب الرسائل، ولد سنة 1891م في بارلا توفي سنة 1946م في استانبول، اشتغل في التعليم ثم تركه وأصبح إماماً في أحد مساجد بارلا، أرسل له الأستاذ رسالة عزى فيها طفله (أنور) الذي توفي سنة 1930م اثر إصابته بمرض السعال الديكي عن عمر يناهز الثامنة ودخلت هذه الرسالة ضمن المكتوبات، المكتوب السابع عشر.⁶

9- الحافظ علي: وهو من الأوائل الذين تتلمذوا على الأستاذ النورسي، كان دؤوباً في

¹ - انظر سعيد النورسي: اللغات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص74

² - انظر سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص366

³ - انظر سعيد النورسي: اللغات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص72

⁴ - انظر المرجع نفسه ص 75

⁵ - المرجع نفسه ص 75

⁶ - انظر المرجع نفسه ص 75

الاستنساخ، لما انعم الله عليه من جودة الخط ومن علو الهمة، استشهد في سجن
(دنيزلي) سنة 1944.¹

10- طاهري موطلو: هو احد طلاب النور المقربين للأستاذ النورسي، صاحبه في
السجن، تولى شؤون الرسائل، انتقل إلى رحمة الله سنة 1977م عن سبع وسبعين سنة من
العمر.²

¹ - انظر سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص321

² - انظر سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص376

المطلب الثالث: مميزات منهج دعوته.

يختلف التصور النورسي الإصلاحى من سعيد القديم قبل انقلابه الروحى (إلى سعيد الجديد)، فقد كان فى حياته الأولى يتعامل مع معطيات الواقع تعاملًا سياسيًا، فاتصل بأرباب الحكم معينًا وناصرًا لهم، وبرؤساء العشائر مرشدًا وموجهًا، كما سهر على إنشاء « مدرسة الزهراء » _ التى كان يريد من خلالها القضاء على الجهل والتخلف _ طالبًا المعونة من أصحاب القرار فى السلطة، ولكن بعد أن سقطت الخلافة العثمانية نهائيًا، وحورب الدين فى تركيا علنًا، تأكد الإصلاح الحقيقى لما تتخبط فيه الأمة من مشاكل، وما تعانيه من انحدار، لا يعالجه الموقف يقينًا أن السياسى، بل يحتاج إلى نظرة شمولية وفق مسلك آخر، لذا سنركز على نظريته الإصلاحية التغييرية فى حياته الثانية « سعيد الجديد » من خلال النقاط الآتية:

أ- منطلقات لضمان سلامة العملية الإصلاحية.

ب- محتوى الخطة الإصلاحية.

ج- الأدوات والطريقة المتبعة.

د- مميزات فكرته .

الفرع الأول: سلامة المنطلق

1- التركيز على مصدر الوحي التمثيل في القرآن الكريم والسنة المطهرة ؛ كركيزة مباشرة في العملية الإصلاحية ، يظهر ذلك أقواله له، منها:

* قوله بعد سماعه عن المؤامرة التي تحاك ضد القرآن: « لأبرهنن للعالم أن القرآن شمس معنوية لا يجبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها »¹ والعزم على جعل جميع ما حصل من علوم مدارج للوصول إلى إدراك معاني القرآن الكريم وإثبات حقائقه.²

2- تحديد منطلق التعامل مع الواقع الداخلي لتغيير الفساد والانحراف، إذ يفرّق في عملية المواجهة عند إرادة التغيير بين الفساد الناشيء من الداخل، والفساد الذي سببه مصدر خارجي، فهو لا يرى فرض التغيير بانتهاج العمل المسلح إلاّ ضد العدو الخارجي، أما بالنسبة للمجتمع الإسلامي من الداخل فالجهاد فيه جهاد معنوي، يتوصل إليه عن طريق تنوير الفكر، وإصلاح القلوب والأرواح.

3- البحث عن الفريق الذي يتبنى تحمّل تبليغ مضمون الخطة الإصلاحية، ثم إعداده إعداداً شاملاً، يجعله مستعداً للتضحية بكل مكاسب الدنيا في سبيل التبليغ. حيث اهتم بكل من رأى فيه الاستعداد الجدي ليكون طالباً عنده، فسمى طلبته ((بطلبة النور)) ليكون لهم رابط معنوي يربطهم بعد رابطة الأخوة الإسلامية. فدعوته لتجنب وقوع أي مصادمة، حتى ضد الذين اعتدوا وظلموا، ووظيفتنا تجاه هؤلاء هي التمني لهم بالهداية.³

4- اعتزال السياسة وعدم الانشغال بما كليا في الظرف الحالي، لأن الخوض فيها يفسد أكثر مما يصلح. يقول: ((نحن طلاب النور آئينا على أنفسنا ألا نجعل من رسائل النور أداة طيعة للتيارات السياسية، بل للكون كله، فضلا عن أن القرآن الكريم قد منعنا بشدة من الانشغال بالسياسة)).⁴

¹ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص66

² - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص66

³ - انظر سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص317

⁴ - انظر سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص405

الفرع الثاني : محتوى الخطة الإصلاحية

ينطلق مضمون المشروع الإصلاحي المتفاعل به مع معطيات الواقع عند النورسي، حيث حدد النورسي المشكلة الرئيسية المطروحة خلال عصره في نقطتين:
النقطة الأولى: الأمراض المعنوية القلبية بسبب البعد عن الدين، وتتمثل في: حياة اليأس والقنوط و موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية، وحب العداوة، الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين ببعضهم البعض و سريان الاستبداد وحصص الهمة في المنفعة الشخصية.¹

النقطة الثانية: الحملة المعادية للإسلام من الداخل والخارج، لمحاولة إقصاء الخطاب الإسلامي من أداء دوره في إصلاح الفرد والمجتمع على مستوى الحياة الاجتماعية والسياسية. وتتجلى نظرتة الثاقبة في تشخيصه لهذه النقطة وآثارها المستقبلية من خلال جوابه للشيخ (بخيت) مفتي الديار المصرية حين سأله: ((ما تقول في هذه الحرية العثمانية والمدنية الأوروبية؟ فأجابه النورسي: إن الدولة العثمانية حاملة بدولة أوروبية وستلدها يوما ما، وإن أوروبا حاملة بالإسلام وستلده يوما ما)).²

- 2 بعد تشخيصه للداء وتحديد عناصر الأمراض السارية في مجتمعه، حدد الدواء الناجع للتخلص من هذه الأمراض المتسببة في الضعف والفساد، وهو لا يرى الحل يكمن في ترميمات ترقيعية، بل يتعدى به إلى التشييد الشمولي عن طريق إعادة تجديد الإيمان وترسيخه في القلوب، والحرص على تمثل أبعاده الوظيفية سلوكيا واجتماعيا، وحفظه من التخريبات الهائلة التي فرضها أعداء الإسلام، وأعانها عليها أصحاب النفوس الضعيفة باستسلامهم للأمراض المعنوية المذكورة سابقا. نلمس نظرتة هذه من خلال جوابه على مبعوث مصطفى صبري) آخر شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية (حين أبلغه: أن مصطفى صبري يسأل عن عدد طلابكم؟ فقال النورسي: لي خمسمائة ألف طالب وخادم للقرآن! قال المبعوث: يقول مصطفى صبري...

¹ - انظر سعيد النورسي: صيقل الاسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص392

² - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص84

إذن ماذا ينتظر؟ ولماذا لا يبدأ بجهد إسلامي مع هذا العدد من طلابه؟ فأجاب النورسي: بلغ سلامي له أولاً، ثم قل له: ((إنّ دعوتنا هي الإيمان، والجهد يلي الإيمان، وإنّ زماننا هذا هو زمان خدمة الإيمان، وخدمتنا تنحصر في الإيمان)) (ولما رجع المبعوث إلى الشيخ مصطفى صبري وأبلغه الجواب، استصوب عمل بديع الزمان وقوله.¹ ويذكر للسياق نفسه: ((إن أعظم إحسان أعده في هذا الزمان، وأجلّ وظيفته هو إنقاذ الإنسان لإيمانه والسعي لإمداد إيمان الآخرين بالقوة، فاحذر يا أخي من الأناية والغرور، وتجنب من كل ما يؤدي إليها... لأن أعظم خطر يأتي في هذا العصر، إنما يأتي من الأناية والسمعة، فعلى كل فرد من أفراد أهل الحق والحقيقة أن ينظر إلى تقصيرات نفسه ويتهمها دائماً، ويتحلى بالتواضع التام)).²

ولما قصده بعض الناس بغرض الانخراط في سلك طلبته كمريدين، ظانين أنه شيخ طريقة صوفية، قال موجهًا: ((إن هذا الزمان ليس زمان الطريقة الصوفية، بل زمان إنقاذ الإيمان، والله الحمد فإن رسائل النور قد أنجزت وما تزال تنجز هذه المهمة، وفي أصعب الظروف)).³ ويذكر في السياق نفسه: ((إن أهل الإيمان - في الوقت الحاضر - محتاجون أشد الحاجة إلى حقيقة جلية نزيهة... فالمؤمنون محتاجون إلى مثل هذه الحقيقة التريهة لترشدتهم إلى حقائق الإيمان، حفاظاً على إيمان المؤمنين في هذا العصر الذي اشتدت فيه صولة الضلالة التي تراكمت شبهاتها منذ ألف سنة)).⁴

3- رغم أن النورسي لم يرسم خطة متكاملة تنتهي ثمرتها إلى تحقق إنشاء المجتمع الإسلام المحكوم بالإسلام، إلا أن هناك نصوصاً يستشف منها ملامح تصوره لمثل هذه الخطة، منها النص الآتي: ((إنه ينبغي لهذا العصر من مجدد له شأنه، ليقوم بتجديد الدين والإيمان، وتجديد الحياة الاجتماعية والشرعية، وتحديد الحقوق العامة، والسياسة الإسلامية لكن أهم تلك الوظائف هو التجديد في مجال المحافظة على الحقائق الإيمانية، فهي أجل وأعظم تلك الوظائف

¹ - انظر سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص542

² - انظر سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص260

³ - نفس المرجع السابق، ص263

⁴ - نفس المرجع السابق ص265 بتصرف

الثلاث، لذا تبقى دوائر الشرعية والحياة الاجتماعية والسياسية في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة، بالنسبة إلى دائرة الإيمان)).¹ تبدأ إذن العملية الإصلاحية الشمولية عنده -وفق تصوره- بداية من التجديد الإيمانى على مستوى القلوب والسلوكات، ثم تجديد الشريعة ثم تجديد الحياة الاجتماعية ثم تجديد الحياة السياسية. وأعظمها تجديد الإيمان وأثبات حقائقه.

¹ انظر سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص196

بتصرف

الفرع الثالث: الوسائل المستخدمة في عملية التبليغ

1- الأدوات والطريقة المتبعة:

1/1- لم يكن هامش الحرية الذي أتيح للأستاذ بديع الزمان النورسي، واسعاً بحيث يتيح له استعمال وسائل ضخمة (كالمؤسسات التربوية أو التعليمية أو الإعلام...) بل كان ضيقاً جداً، فقد قضى جل حياته - كما سبق وأن ذكرنا- بين سجن ومنفي، معزولاً عن الناس في أغلب الأحيان، ورغم ذلك لم يكن يضيّع أي فرصة تتيح له مقابلة الناس والتأثير فيهم. لقد كانت شخصيته القوية المفعمة بالجاذبية العفوية - غير المتكلفة- وتميزه بتدينه وسلوكه واستقامته المفتاح الوحيد الذي أتاح له الدخول إلى قلوب الناس .

1/2- كانت السلطات تنقله نفيًا كل مرة من منطقة إلى أخرى، لا يعرفه فيها أحد كي تعزله عن الاتصال بمن التفوا حوله وآمنوا بفكرته، وكي يندثر ذكره وتأثيره في أوساط الناس، لكن لقوة تأثيره الملاحظة في كلامه ورسوخ يقينه بما يقول: كان يكسب كل مرة طلبة جدد إضافة إلى السابقين، وبدلاً أن تكون عملية نفيه عزلاً، انقلبت إلى رحلات مدفوعة الأجر إلى المناطق الأخرى للتعريف بدعوته وبث إصلاحاته بينهم.

1/3- الوسيلة الثانية - بالإضافة إلى شخصيته المفعمة بالجاذبية والتأثير- التي كانت تضمن وصول دعوته الإصلاحية إلى كافة طلبته ثم الناس أجمعين، هي الدروس التي كان يلقيها كل مرة على مجموعة من طلبته، مدونين لها تحت اسم: « رسائل النور » وتوزع عبر الأقطار بعد اجتهادهم في نسخها باليد.

2- الطريقة المنتهجة:

2/1- بما أن النورسي اعتمد الاتصال المباشر بالقول أو الرسائل، فإنه سلك مسلك الجمع بين مخاطبة العقل والقلب في آن واحد، متجاوزاً التركيز على الإقناع العقلي الخالي من التحريك الوجداني من جهة، ومتجاوزاً من جهة أخرى التأجيج العاطفي دون مراعاة الإقناع العقلي ، وفي ذلك يذكر: نعم إن من يشاهد أسلوب بيان رسائل النور، لا يمكن أن لا يهتم

بها، فهي لا تشبه المؤلفات الأخرى بتأثيرها في القلب والعقل وحدهما، بل تسخر أيضا النفس والمشاعر.¹

-2/2 الرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام، دون ذكر الشبهة نفسها في غالب الأحيان فتسد بذلك دخول أية شبهة في ذهن القارئ، وتحفظه من ترك أثر سيء فيه).²

-2/3 الإقتداء بمسلك القرآن الكريم والسنة المطهرة في التبليغ، الذي يستخرج زلال معرفة الله من كل شيء، ويستثمر ذكر الحوادث والموجودات... وكل ما يمكن الاستفادة منه للتوجيه إلى معرفة الله والهداية إلى الاستقامة على صراطه. وبهذا المسلك يستفيد السالك في رسائل النور في لحظة ما لا يستفيده سالكوا سائر المسالك في سنة.³

¹ - انظر سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص383

² - انظر سعيد النورسي: إشارات الإعجاز، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص19

³ - انظر سعيد النورسي: المتنوي العرب النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص32

الفرع الرابع: مميزات فكرته

1- التأقلم مع الواقع

«حاول النورسي في بداية أمره التعامل مع المعطى السياسي تعاملًا سياسيًا، ولما تأكد من الرغبة الجارحة لسياسي وقته في إقصاء الخطاب الإسلامي الديني الإسلامي من الساحة السياسية والفكرية، اختار أسلوبًا جديدًا يركز على الفكرة الإسلامية من الناحية التربوية الروحية بوصفها الخزان الرئيس لأي تغيير حضاري أو فكري محتمل في قابل الأيام

2- احترام سلم الأولويات

تعامل مع واقعه وفق التدرج الشئني عند محاولة التغيير، بدءًا بالأولويات، تركيزًا على إعادة بعث الإيمان في النفوس وتحريك بعده الوظيفي في سلوكهم ومواقفهم، ويستشف ذلك من خلال جوابه على أحد الأسئلة بشأن المهدي المنتظر، حيث يقول: «... ثم إن هناك ثلاث مسائل:

الحياة... الشريعة... الإيمان. وأن مسألة الإيمان هي أهم هذه المسائل الثلاث وأعظمها في نظر الحقيقة، بيد أن الحياة والشريعة تبدوان في نظر الناس عامة وضمن متطلبات أوضاع العالم أهم تلك المسائل، ولما كان تغيير أوضاع المسائل الثلاث كلها دفعة واحدة في الأرض كافة لا يوافق سنة الله الجارية في البشرية، فإن ذلك الشخص لو كان موجودًا (يقصد المهدي المنتظر) في الوقت الحاضر لاتخذ أعظم تلك المسائل وأهمها أساسًا له دون المسائل الأخرى، وذلك لئلا تفقد خدمة الإيمان نزاهتها وصفاءها لدى الناس عامة»¹.

3- الاهتمام بالأبعاد الوظيفية (نفسيا، اجتماعيا، اقتصاديا، سياسيا)

اهتم النورسي بالثمار المرجوة دنيويًا من خلال تحقيق عبادة الله عز وجل، بل جعل الأساس الذي يصلح به المجتمع عامة يكمن في إصلاح القلوب بالإيمان الحق، وتحقيق العبادة المطلوبة شرعًا. ففي هذا الشأن يقول: ((...إذ طلب منا - سبحانه وتعالى - ساعة واحدة من أربع وعشرين ساعة طلبها لأجلنا نحن... لأداء الصلوات الخمسة، فتقاعسنا عنها وأهملناها

¹ -انظر سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزر للنشر والتوزيع، 2011، ص136

غافلين، فجازانا بتدريب شاق دائم لأربع وعشرين ساعة طوال خمس سنوات متواليات، أي أرغما على نوع من الصلاة، وإنه سبحانه طلب منا شهرا من السنة نصوم فيه رحمة بأنفسنا، فعزت علينا نفوسنا، فأرغمنا على الصوم طوال خمس سنوات كفارة لذنوبنا، وإنه سبحانه طلب منا عشرا أو واحداً من أربعين جزءاً من ماله الذي أعطاه لنا، فبخلنا وظلمنا وخلطناه بالحرام، ولم نعطيها طوعاً، فأرغمنا على دفع الزكاة متراكمة، وأنقذنا من الحرام، فالجزاء من جنس العمل)).¹

ويمكن القول - بعد نظرة استقرائية في مؤلفات النورسي - أنه كان يتوخى فيما يكتب تحقيق الأبعاد الوظيفية عموماً، على المستوى الشخصي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والفكري والنفسي.²

-4 الواقعية:

نضرتة واضحة من خلال مراعاته للمستجدات الفكرية والسياسية الواقعية، التي انطلق منها لتحقيق عملية الإصلاح والبناء، في عملية التغيير ومعالجة الاختلالات ، والشوائب التي علفت بالمجتمع ، وابعده عن هويته الاسلامية .

¹ - انظر سعيد النورسي: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص 859

² - انظر لـ عمار جيدل: بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية ص 190-195

المبحث الثالث : تعريف المصطلحات

المطلب الأول: مفهوم المقاصد

الفرع الأول : تعريف المقاصد لغة

تطلق مادة (قصد) في اللسان العربي ويراد بها المعاني التالية:

- أ - الاستقامة والاعتدال ومنه قوله تعالى: ﴿واقصد في مشيك﴾¹ .
- ب- التوجه نحو الشيء، يقال: قصدت قصده، أي نحوت نحوه، وأقصد السهم، أصاب وقتل مكانه.
- ج- الفل والكسر، يقال، انقصد السيف: أي انكسر، وتقصد: إذا تكسر، وقصد الرمح: إذا كسره.
- د- الاكتناز والامتلاء، تقول العرب : ناقة قصيد، أي مكتنزة ممتلئة من اللحم، والقصيد من الشعر ما تم سبعة أبيات² .

وجاء في لسان العرب لابن منظور : أصل " قصد " ومواقعها في كلام العرب : الاعتزام والتوجه ، والنهوض والنهوض نحو الشيء، على اعتدال كان أو جور ، هذا أصله في الحقيقة وإن كان يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل³ .

وملخص كلام اللغويين أن مادة (قصد) في الاستعمال العربي تدل على معان مشتركة ومتعددة ، إلا أن الغالب عند إطلاقها انصرافها إلى العزم على الشيء والتوجه نحوه .

¹ - سورة لقمان ، الآية : 18

² - انظر مقاييس اللغة لابن فارس : ج5/95-96 .

³ - لسان العرب لابن منظور : 353/3 .

الفرع الثاني : تعريف المقاصد اصطلاحا

يقول الطاهر بن عاشور:

مقاصد الشريعة العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها ، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة . فيدخل في هذا: أوصاف الشريعة ، وغايتها العامة ، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها. ويدخل في هذا أيضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها¹

وعلى يبين الدكتور الريسوني بأن الشاطبي لم يحدد تعريفا اصطلاحيا للمقاصد حيث يقول: أما شيخ المقاصد ((أبو اسحاق الشاطبي)) فإنه لم يحرص على إعطاء حد وتعريف للمقاصد الشرعية. ولعله اعتبر الأمر واضحا، ويزداد وضوحا بما لا مزيد عليه بقراءة كتابه المخصص للمقاصد من ((الموافقات)) ولعل مازهده في تعريف المقاصد كونه كتب كتبه للعلماء، بل للراسخين في علوم الشريعة.²

ومن خلال ما سبق يبدو أن المقاصد كغايات أو كمعاني صرحت بها الشريعة ووضعتها لاعتبارها عند استنباط الأحكام وتحقيقا لمصلحة العباد، هي فن شرعي معتبر يراعي إنسانية الإنسان وتنزيل نصوص الشريعة على الواقع البشري. وارتباطا مع موضوع المقاصد عند النورسي، ونظرا لاشتغاله ببيان مقصود القرآن العظيم يمكن القول بعد استقراء أولي لما كتبه النورسي أن المقاصد عنده هي: المعاني والغايات والحكم الملحوظة للشارع الدالة على أسرار أحكامه المرعية لمصالح الخلق المتجلية في كل سورة من سور القرآن بل في كل آية من آياته وكلمة من كلماته وحرف من حروفه.

¹ - انظر الطاهر بن عاشور، مقاصد الرعية الاسلامية، تونس، 1366، ص50

² - انظر أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط4، هيرند ، فرجينيا، م أ، 1995، ص17

الفرع الثالث: موضوع المقاصد

بناء على التعريفات السابقة يتوضح موضوع المقاصد ، حيث يمكن القول كما قال الـريسوني : إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد.

كما يمكن -لزيادة الوضوح- تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

المقاصد العامة: وهي التي تراعيها الشريعة وتعمل على تحقيقها في كل أبوابها التشريعية... والمقاصد الخاصة: وأعني بها التي تهدف الشريعة إلى تحقيقها في باب معين ، أوفي أبواب قليلة متجانسة، من أبواب التشريع... والمقاصد الجزئية : وهي ما يقصده الشارع من كل حكم شرعي، من إيجاب أو تحريم ، أو نـدب أو كراهة ، أو إباحة أو شرط أو سبب.¹

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومعرفة خير الخيرين وشرّ الشرّين، حتى يُقدّم عند التزاحم خير الخيرين، ويُدفع شرّ الشرّين» .

¹ - انظر أحمد الـريسوني، نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط4، هيرند ، فرجينيا، م أ، 1995، ص، 19-20

المطلب الثاني: مفهوم العقيدة

الفرع الأول: تعريف العقيدة لغة

مأخوذة من العُقْد، وهو الرِبْطُ والشَّدُّ بقوة¹. وأصل اشتقاق كلمة العقيدة من (عقد)، وهي في اللغة مدارها على ثلاثة معانٍ؛ اللزوم، والتأكد، والاستيثاق، نحو قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ سورة المائدة، آية: 289 فتعقيد الإيمان يكون بعزم القلب عليه، والعقود هي أوثق العهود، ومنها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ ب سورة المائدة، آية: 31³

¹ - انظر: القاموس المحيط مادة « عقد ».

² - سورة المائدة ، الآية 89

³ - سورة المائدة، آية 01.

الفرع الثاني : تعريف العقيدة اصطلاحاً

هي اعتقادٌ جازمٌ مُطابقٌ للواقع لا يقبل الشك أو الظن، فالعلم الذي لم يصل بالشيء إلى درجة اليقين الجازم لا يُسمى عقيدة، وإذا كان الاعتقاد غير مُطابق للواقع والحق الثابت ولا يقوم على دليل فهو ليس عقيدةً صحيحة سليمة، وإنما هو عقيدة فاسدة كاعتقاد النصارى بألوهية عيسى وبالتثليث.¹ وهناك من يجعل لها تعريفان:

أولاً: التعريف الاصطلاحي العام: عُرِّفت العقيدة وفق المفهوم العام بأنها: ما يعقد عليه الإنسان قلبه، عقداً جازماً ومحكماً لا يتطرق إليه شك.
ثانياً: تعريف العقيدة الإسلامية: هي: أن يعلم العبد ويعتقد اعتقاداً جازماً ما يجب لله تعالى من الصفات وما يستحيل عليه ومن اضدادها وما يجوز في حقه تعالى² ومومن مرادفات لفظ العقيدة: التوحيد، والسنة، والإيمان.

¹ - د عثمان جمعة ضميرية (1996م)، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (الطبعة الثانية)، السعودية: مكتبة السوادي للنشر والتوزيع، صفحة 122. بتصرّف.

² - انظر حسن أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية، ط2، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2004، ص17

الفرع الثالث: موضوع العقيدة

الموضوعات التي يبحث فيها هذا العلم هي:

ذات الله تعالى: لمعرفة ما يجب في حق الله تعالى وما يستحيل وما يجوز

ذوات الرسل عليهم الصلاة والسلام: لمعرفة ما يجب في حقهم وما يستحيل وما يجوز

الأمر الغيبية وهي التي لا يمكن الوصول إليها معرفتها والإيمان بها إلا عن طريق كتاب الله تعالى ،
وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك مثل (1) كتب الله تعالى، وملائكته ورسوله، واليوم الآخر، والجنة
والنار... الخ²

العقيدة الإسلامية، عقيدة ربانية المصدر؛ حيث أوحى بها من عند الله تعالى بواسطة جبريل إلى
النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهي متفقتة مع فطرة الإنسان السليمة؛ حيث تتفق عملياً مع ما يدور
في خلع الإنسان من الأفكار من وجود خالقٍ مدبرٍ لهذا الكون العظيم الواسع حتى قبل أن يعرف الإيمان
أو يتعلمه، كما أنّها تتميز بالوضوح واليسر والبساطة، وهي شاملة لجميع مناحي الحياة؛ الكون والإنسان
وأطوار حياته، وهي عقيدة ثابتة لا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة؛ فهي ليست نظريات صاغها البشر، كما
أنّها تتماشى مع واقع الإنسان ومُتطلبات وجوده، وهي عقيدة مبرهنة تعتمد على الحجّة الدامغة والبراهين
الواضحة.

للعقيدة الإسلامية أهمية كبيرة تظهر في الأمور التالية:

- 1- أن جميع الرسل أرسلوا بالدعوة للعقيدة الصحيحة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾³ [الأنبياء: 25].
- 2- أن تحقيق توحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة هو الغاية الأولى من خلق الإنس والجن، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁴ [الذاريات: 56]

² - انظر حسن أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية، ط2، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2004، ص17

³ -سورة الأنبياء الآية 25

⁴ -سورة الذاريات الآية 56

3- أن قبول الأعمال متوقف على تحقق التوحيد من العبد، وكمال أعماله على كمال التوحيد، فأي نقص في التوحيد قد يجبط العمل أو ينقصه عن كماله الواجب أو المستحب.

4- أن النجاة في الآخرة - ابتداءً أو مآلاً - متوقفة على صحة العقيدة، مما يبرز أهمية تعلمها واعتقادها على المنهج الصحيح. قال -صلى الله عليه وسلم-: « إن الله حَزَمَ على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»¹.

5- أن هذه العقيدة تحدد العلاقة بين العبد وخالقه: معرفة، وتوحيداً، وعبادة شاملة لله تعالى: بالخوف والرجاء، والمراقبة والتعظيم، والتقوى والإنابة... ورعاية تامة من الله للعبد: نطفة، وصغيراً، وكبيراً، في البر والبحر، رزقاً وإنعاماً، وحفظاً وعناية.

6- أن السعادة في الدنيا أساسها العلم بالله تعالى، فحاجة العبد إليه فوق كل حاجة، فلا راحة ولا طمأنينة إلا بأن يعرف العبد ربه بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

7- أن هذه العقيدة تجيب عن جميع التساؤلات التي ترد على ذهن العبد، ومن ذلك: صفة الخالق، ومبدأ الخلق، ونهايته، وغايته، والعوالم الكائنة في هذا الوجود، والعلاقة بينها، وموضوع القضاء والقدر...

8- تركيز القرآن والسنة على موضوع العقيدة: بياناً وتقريراً، وتصحيحاً، وإيضاحاً، ودعوةً.

9- العقيدة الصحيحة هي ما يعصم المسلم من التأثر بما يحيط به من عقائد وأفكار فاسدة. وفي الجملة فإن «العقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يقوم عليه الدين، وتصحّح معه الأعمال، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾² [الزمر: 65].

فدلّت هذه الآيات الكريمات، وما جاء بمعناها، وهو كثير، على أن الأعمال لا تُقبل إلا إذا كانت خالصة من الشرك، ومن ثمّ كان اهتمام الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - بإصلاح العقيدة أولاً،

¹ - متفق عليه: أخرجه البخاري في الصلاة، باب المساجد في البيوت، رقم (415)، ومسلم في المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، رقم (263).

² -سورة الزمراآية 65

فأول ما يدعون إليه أقوامهم هو عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾¹ [النحل: 36].

وقد بقي النبي -صلى الله عليه وسلم- في مكة بعد البعثة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس إلى التوحيد، وإصلاح العقيدة؛ لأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء الدين. وقد احتذى الدعاة والمصلحون في كل زمان حذو الأنبياء والمرسلين، فكانوا يبدؤون بالدعوة إلى التوحيد وإصلاح العقيدة، ثم يتجهون بعد ذلك إلى الأمر ببقية أوامر الدين².

¹ -سورة النحل الآية 36

² - عقيدة التوحيد (ص: 9-10).

المطلب الثالث: مفهوم النبوة

الفرع الأول: تعريف النبوة لغة

مشتقة من النبأ بمعنى الخبر.

قال الله تعالى: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَلِيٌّ أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: 49]¹ وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأُكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحریم: 3]².

جاء في لسان العرب: (النبأ: الخبر. . . والنبيء المخبر عن الله عز وجل. . . لأنه أنبأ عنه، وهو

فعل بمعنى فاعل.

قال ابن بري³. صوابه أن يقول: فعيل بمعنى مفعول. مثل نذير بمعنى منذر وأليم بمعنى مؤلم.

وقال الفراء⁴ النبي: هو من أنبأ عن الله فترك همزه.

¹ - سورة الحجر، آية (49)

² - سورة التحريم، آية (3) .

³ - هو عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي المصري (499- 582 هـ) . نحوي لغوي، من مصنفاته: اللباب في الرد على ابن الخشاب، وحواش على الصحاح لم يكملها.

انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مطبعة عيسى الحلبي. مصر، 1384 هـ - 2 / 34.

⁴ - هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي المعروف بالفراء (140- 207 هـ) .

كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي.

له مصنفات عدة منها: معاني القرآن، اللغات والمصادر في القرآن، النوادر.

انظر: بغية الرعاة، 2 / 333.

الفرع الثاني: تعريف النبوة اصطلاحاً

قال: وأن أخذ من النبوة والنباوة وهي الارتفاع عن الأرض - أي أنه شرف على سائر الخلق - فأصله غير الهمز¹. وعلى ذلك فالنبوة في الأصل مشتقة من النبأ وأصلها الهمز لكن لما كثر استعمالها خفف بإسقاط الهمز، أما اشتقاقه من النبوة والنباوة فهو ضعيف من ناحية اللغة.

قال ابن تيمية: (وهو " أي لفظ النبي " من النبأ، وأصله الهمزة وقد قرئ به، وهي قراءة نافع يقرأ النبيء، لكن لما كثر استعماله لينت همزته كما فعل مثل ذلك في الذرية، وفي البرية، وقد قيل هو من النبوة، وهي العلو فمعنى النبي المعلى الرفيع المنزلة، والتحقيق أن هذا المعنى داخل في الأول فمن أنبأه الله وجعله منبأ عنه، فلا يكون إلا رفيع القدر عليا، وأما لفظ العلو والرفعة فلا يدل على خصوص النبوة إذ كان هذا يوصف به من ليس بنبي، بل يوصف بأنه الأعلى كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهْنُؤُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: 139]².

وقراءة الهمزة قاطعة بأنه مهموز. . . . وأيضا فإن تصريفه أنبأ ونبأ ينبئ وينبئ بالهمزة، ولم يستعمل فيه نبا ينبو، وإنما يقال هذا ينبو عنه، والماء ينبو عن القدم إذا كان يجفو عنها، ويقال النبوة، وفي فلان نبوة عنا أي بجانبه. فيجب القطع بأن النبي مأخوذ من الإنباء لا من النبوة³.

¹ - لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، ط دار صادر بيروت، مادة نبأ، 1 / 162 - 163.

² - سورة آل عمران، (139)

³ - النبوات، لابن تيمية، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ص 336 - 337.

الفرع الثالث: موضوع النبوة

النبوة اصطفاة إلهي ولقد جرت سنة الله في خلقه أن يصطفي بعض عباده لمهمة النبوة والرسالة كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾¹ الحج الآية 75 وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾² آل عمران 33، وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتِكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾³ الأعراف 144، وهذا الاصطفاء والاختيار منة إلهية امتن الله على الأنبياء والمرسلين فلم يصلوا إليها بكسب ولا جهد، ولا كانت ثمرة لعمل أو رياضة للنفس قاموا كما يزعم الضلال من الفلاسفة. فالنبوة والرسالة محض فضل من الله يختص به من شاء من عباده، وهو سبحانه أعلم بمواقع فضله، ومحال رضاه، وأعلم بمن يصلح لهذا الشأن، فهو سبحانه صاحب الخلق والتدبير، والاختيار والاصطفاء، قال تعالى: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرُ سَبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾⁴ القصص 68، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾⁵ الأنعام 124 ومع كون النبوة منحة إلهية، إلا أن الله لا يختار لها إلا أناساً خصهم وميزهم بخصائص ومميزات ليست موجودة في سائر البشر. فالرسل أكمل البشر خلقاً وخلقاً، وأرجحهم عقلاً، وأوفرهم ذكاءً، وأنورهم قلباً. وهذا شأن الرسل أجمعين. والرسول صلى الله عليه وسلم حينما اصطفاه الله لمهمة الرسالة الخاتمة، خصه بخصائص ليست موجودة في غيره، وهيئة يئة خاصة تتناسب مع هذه المهمة الجليلة. أراد الأستاذ النورسي أن يوضح هذا المعنى بخطاب التدرج العقلي لتدرك البشرية حاجتها إلى النبوة، لا سيما نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وذلك في الإشارة البليغة الأولى تحت قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾⁶ .
الصف 9 فقال: "لا ريب أن مالك هذا الكون وربّه يخلق ما يخلق عن علم ويتصرف في شؤونه عن حكمة ويدير كل جهة عن رؤية ومشاهدة، ويربي كل شيء عن علم وبصيرة ويدير الأمر قاصداً

¹ - سورة الحج الآية 75

² - سورة آل عمران الآية 33

³ - سورة العراف الآية، 144

⁴ - سورة القصص ، الآية 68

⁵ - سورة الأنعام ، الآية 124

⁶ - سورة الصف ، الآية، 9

إظهار الحكم والغايات والمصالح التي تتراءى من كل شيء. فما دام الخالق يعلم، فالعالم يتكلم، وحيث أنه سيتكلم فسيكون كلامه حتماً مع من يفهمه من ذوي الشعور والفكر والإدراك، بل مع الإنسان الذي هو أفضل أنواع ذوي المشاعر والفهم وأجمعهم لتلك الصفات، وما دام كلامه سيكون مع نوع الإنسان فسيتكلم إذن مع من هو أهل للخطاب من الكاملين من بني الإنسان الذين يملكون أعلى استعداد وأرفع أخلاق والذين هم أهل لأن يكونوا قدوة للجنس البشري وأئمة له، فلا ريب أنه سيتكلم مع محمد صلى الله عليه وسلم الذي شهد بحقه الأولياء والخصماء بأنه صاحب أسمى أخلاق وأفضل استعداد، والذي اقتدى به خمس العالم، وانضم تحت لوائه المعنوي نصف الأرض، واستضاء المستقبل بالنور الذي بعث به طوال ثلاثة عشر قرناً من الزمان).". (والنبوة عامة في نظر النورسي تمثل "نواة أنبتت الشجرة الإسلامية بأزاهيرها وثمراتها)" (وأضواً ثمراتها وأنورها وأولائها وأجلاها وأحسنها وأزيناها وأعظمها وأكرمها وأشرفها وألطفها وأجمعها وأنفعها هو محمد عليه السلام)."¹

¹ - انظر حامداً أشرف همداني، مفهوم النبوة وضرورتها للبشرية بمنظور رسائل النور

الفصل الثاني:

مسألة النبوة عند النورسي

ومنهجه في تناولها

المبحث الأول: الإطار المقاصدي لبحث مسألة النبوة

المطلب الأول : مكانة النبوة في الاستدلال المقاصدي عند النورسي

إن من أهم المنطلقات التي اعتمدها النورسي لضمان سلامة العملية الإصلاحية، تحديد موقع النبوة بشكل واضح ، فهو يجعل منها إحدى الركائز الأساسية عند مباشرة تحقيق مشروع عملية التغيير بالتنظير والتطبيق. ونود هنا أن نبين أكثر موقع النبوة في استدلاله المقاصدي من مشروعه الإصلاحي ، إذ تأتي أهمية العناية بالنبوة بعد القرآن الكريم أثناء رسم مشاريع الإصلاح الديني والحضاري للأمم. فنراه يدرجها في كلامه عن مقاصد القرآن الأربعة بقوله: أن مقاصد القرآن الأربعة هي (التوحيد، النبوة، الحشر، العدالة مع العبودية)¹. وذلك للاعتبارات الآتية:

1- من كونها تأتي في المرتبة الثانية في التشريع بعد القرآن الكريم ومفسرة له وملائمة لكل زمان ومكان، يستمد منها أصحاب كل عصر منهجاً أصيلاً في التعامل مع مشاكلهم بكل جوانبها، الروحية والنفسية والفكرية والحضارية. ومن حيث الاعتبار يقول النورسي: إن النبوة مقتضى الألوهية ونعمة من نعم الله في تجليته بأسمائه الحسنی؛ لأنها طريق هداية الإنسان من خالق الإنسان؛ وهو سبحانه الأعلم بما تتحمله فطرة الإنسان، وبما تستدعيه وظيفته، فهي رحمة، وحكمة، وعدل، وإقامة حجة. وإنما ملتقى الربانية والإنسانية، إذ هي مقتضى تعليم الله الإنسان ما يلزمه لمعرفة نفسه، ومعرفة إيمانه، ومعرفة ما يلزمه من عبادة ربه، والتزامه بشريعته، والسلوك وفق قيم الخير والعدل، للفوز بسعادة الدنيا والآخرة. وإن الإنسان في حاجة لهذه المعرفة عبر النبي الإنسان القدوة الذي يتلقى من الله بصفته نبياً، ويقود البشر في عبادة ربه بصفته إنساناً مثلهم.

ويقول النورسي: «كلما شاب الزمن شب القرآن، وتوضحت رموزه»²

¹ - انظر سعيد النورسي: اشارات الاعجاز، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص22

² - انظر سعيد النورسي: المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص600

ويقول في السياق نفسه: « إن القرآن خطاب ودواء لجميع طبقات البشر من أذكى الأذكياء إلى أغبي الأغباء، ومن أتقى الأتقياء إلى أشقى الأشقياء، ومن الموفقين المحدّين الفارغين من الدنيا إلى المخدولين المتهاونين المشغولين بالدنيا »¹ فوصف الوحي الذي تبينه النبوة للناس بالشبايية المتزايدة مع تقدم الزمان، لا يقرُّ لها فقط بالصلاحية لكل زمان، بل بازدياد تأكد صلاحيتها أكثر مما سبق، وباعتبارها دواء لجميع طبقات البشر على اختلافها، وهي تبوُّئها لمكانة رفيعة بحيث تستوعب بإرشاداتها جميع البشر أيّ كان موقعهم على سطح الأرض وأيّا كان الزمان الذي وجدوا فيه.

2- من كونها المنبع الذي تتم به مراجعة القديم وصقل الجديد، وتقديمه في قالب تأصيلات علمية شرعية. فالنورسي قد قام بعملية المراجعة التأصيلية العميقة للوحي، للتخلص مما شاب عقله من بعض الأسقام بسبب الاشتغال بالعلوم العقلية والفلسفية، حتى وجد خاصية جذابة اهتدى بها بعد ذلك إلى توحيد القبلة، ممثلة في جعل النبوة مرشداً وأستاذاً له في مشروعه الإصلاحية. ويتحدث عن مسأله المحققة في رسائل النور بقوله: « لا تحسبن الذي أكتبه شيء مضغته الأفكار والعقول، كلا! بل فيض أفيض على روح مجروح وقلب مقروح بالاستمداد من القرآن الكريم، ولا تضنه أيضاً شيئاً سيالاً تذوقه القلوب وهو يزول، كلا! بل أنوار من حقائق ثابتة انعكست على عقل عليل وقلب مريض ونفس عمي ... إن ما يصادفك من المسائل من صورة البرهان والاستدلال ليس برهاناً حتى

يقال: فيه نظر! بل مبادئ حدسية قيدت وعقدت واستحفظت بأنوار اليقين المفاضة من القرآن

الكريم»²

3- بوصفها أساس لبناء الحضارة و منهج هداية يضبط التفكير السليم ، وملبية لرغبات العقول والقلوب ،وكون النبوة ملبية لرغبات النفوس والعقول والقلوب، والأساس المتين لبناء الحضارة، فلم يغب هذا البعد عن ذهن النورسي فهو الذي وصف النبوة على أنها: " أجوبة لمكررات أسئلة الطبقات البشرية

¹ - انظر سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص 70

² - انظر سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص 315

بالسنة الأقوال والأحوال"¹. ويقول أيضا: " لما كان القرآن الكريم مرشدنا وأستاذنا وإمامنا ودليلنا في كل أعمالنا، وأنه يثني على نفسه، فنحن إذن سنثني على تفسيره اتباعا لإرشاده لنا"². إذا فالنورسي، مجددا في مشروعه للحقائق الإيمانية، وبعثها في النفوس والقلوب والعقول من جديد، بصفة عملية و سلوكية واجتماعية، في مواجهة التحديات المعنوية التي تعرض لها الإيمان³. ودبت في أوساط المجتمع حيث كان: «عصر مريض، وعنصر سقيم، وعضو عليل، وصفتها الطيبة هي اتباع القرآن»⁴ لذا أخذ على عاتقه تبين حقائق القرآن والإيمان من خلال مجموعة رسائله، حتى أنه يعتبرها تفسيراً معنوياً له، وأنها ذاتها دعوة إلى القرآن⁵، وهو يستقي جميع تأصيلاته من الإرشادات القرآنية، فكان داعياً للقرآن بالقرآن⁶. وتعتبر رسائل النور الدواء -الذي تصفه السنة النبوية- لهذا العصر المريض، يقول النورسي: «أما رسائل النور فلكونها معجزة معنوية للقرآن الكريم، فهي تنقذ أساس الإيمان وأركانه، لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب، وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة، حتى حكم كل من ينعم النظر فيها، بأنها أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والماء»⁷. ويقول أيضا للغرض نفسه: «..بل يمكن لمن اختلط عقله بقلبه، أو التحق قلبه بعقله المشتت في آفاق الكثرة أن يستنبط (منها يقصد رسائل النور) طريقة كسكة الحديد متينة أمينة يسلك فيها تحت إرشاد القرآن الكريم، كيف لا وكل ما في رسائله من المحاسن ما هو إلا من فيض القرآن الكريم، والله

¹ - انظر سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزرلنشر والتوزيع، 2011، ص71

² - انظر سعيد النورسي: المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزرلنشر والتوزيع، 2011، ص 476

³ - انظر سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزرلنشر والتوزيع، 2011، ص406

⁴ - انظر سعيد النورسي: المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزرلنشر والتوزيع، 2011، ص600

⁵ -- انظر سعيد النورسي: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزرلنشر والتوزيع، 2011، ص174

⁶ - انظر سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزرلنشر والتوزيع، 2011، ص89

⁷ - انظر سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزرلنشر والتوزيع، 2011، ص105

الحمد كان القرآن هو مرشدي وأستاذي في هذا الطريق»¹. ورسائل النور في هذه العملية تقتبس من منهج القرآن الكريم، مخالفة سائر الكتب، حيث القرآن: «يخرج زلال معرفة الله من كل شيء، فيستفيد السالك في "رسائل النور" في لحظة ما لا يستفيدة سالكوا سائر المسالك في سنة»². ذلك لأن الرسائل لا تكتفي بتحقيق المسائل فحسب، ، فهي لا تدع معرفة الله وزيادة الإيمان به تغيب عن ذهن المخاطب. ويحصر النورسي طرق معرفة الله في أربعة مسالك: المنهج الصوفي المبني على السلوك الإشراقي في تزكية النفس، و منهج علماء الكلام المؤسس على الحدوث والإمكان، و المسلك الفلسفي المبني على الاقتباس من فلسفة حكماء اليونان. ثم يوضح على أنها ليست مصنوعة من الشبهات والأوهام، والمسلكين الأول والثاني: وإن كانا قد نهما من القرآن الكريم، إلا أن الفكر البشري قد أفرغها في صور ذات مشاكل. ثم يثني في الأخير على أن المسلك المضمون العواقب هو: المعراج القرآني الذي يعرضه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأقربه إلى الله وأشمله لبني الإنسان.³ فتأكيد النورسي على النبوة فهما وإفهاماً، والإشادة بها في كل مناسبة، والدعوة إليها، وجعلها منطلقاً ومفتاحاً لأي مسألة يبحثها، أو سؤال يجيب عنه، لا تكاد تخلو منه صفحات رسائل النور. فنرى التوظيف المتكرر لآيات القرآن الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومضامينها، ولشدة اهتمامه بالجانب العملي للقرآن الكريم والسنة «هو الترجمة الأزلية لكتاب الكائنات الكبيرة، والترجمان الأبدي لألستها المتنوعة التالية للآيات التكوينية، ومفسر عالم الغيب والشهادة، وكذا هو كاشف لمخفيات الكنوز المعنوية للأسماء الإلهية المستترة في صفائح السماوات والأرض، وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المضمرة في سطور الأحداث، وكذا هو لسان عالم الغيب في عالم الشهادة، وكذا خزينة للمخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية الواردة من عالم الغيب المستور وراء حجاب عالم الشهادة

¹ - انظر سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزر للنشر والتوزيع، 2011، ص206

² - انظر سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزر للنشر والتوزيع، 2011، ص92

³ - انظر سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزر للنشر والتوزيع، 2011، ص122-123

هذا، وكذا هو شمس عالم الإسلام المعنوي وأساسه وهندسته... وكذا هو القول الشارح والتفسير الواضح والبرهان القاطع والترجمان الساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه»¹ فنراه يركز على:

1- أنها المفسرة لعالم الغيب في عالم الشهادة، والمفسرة لهما معاً.

2- أنها المبينة والشارحة لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه المستترة في صحائف السماوات والأرض. ويضيف: «وكذا هو المرابي لهذا العالم الإنساني، وكالماء والضيء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلام، وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المهدي إلى ما يسوق الإنسانية إلى السعادة، وكذا هو للإنسان كما أنه كتاب شريعة، كذا هو كتاب حكمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية، كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر»². نراه يركز على الجانب الهدائي للسنة النبوية، لأنها الموضحة لمبدأ ومصير هذا الكون، وهي المبينة للمنهج السوي الذي يضمن السعادة الدنيوية والأخروية لبني الإنسان .

لا شك أن التوظيف المقاصدي للنبوة لم يغب عن ذهن النورسي حتى وهو يعرف بها، هذا فضلاً عن الغوص في مضمونها. وهذه الفقرات من التعريف كافية للدلالة على المنحى التجديدي الذي نحاه النورسي في بحوثه المتعلقة بالنبوة وإعجازها، فهو لم يحتد بتعاريف القدماء ، التي اعتمدت بالوصف الظاهري والتحديد النوعي، وآثر تجاوزها إلى الغوص على الحقيقة والمقاصد والغايات³.

حافظ النورسي في تجديده على الأصالة من جهة، و التكيف و التوازن مع ضرورات العصر وإكراهاته الواقعية من جهة أخرى، وهذا ما لمس النورسي بنفسه بعد أن لقيت رسائل النور رواجاً واسعاً بين أيدي الناس، وجعله يثني بالحمد والمنة، يقول: «فله الحمد والمنة، إن موازين رسائل النور قد بينت ثمرات الدين الإسلامي وحقائق القرآن ونتائجها بيانا شافيا وافيا - بفيض الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم -

¹ - انظر سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص122-123

² - انظر سعيد النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص21

³ - انظر أحمد أبوزيد: مظاهر التجديد في بيان إعجاز القرآن الكريم عند بديع الزمان النورسي، المؤتمر الرابع لبديع

الزمان 1998، ط1، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2000

بجيث حتى لو فهما من لا دين له لا يمكن أن يكون غير موال لها»¹. ويعتبر النورسي أن بعدنا عن الدين وتعاليمه النبوة السمحة؛ سبب مشاكلنا الاجتماعية والروحية والسلوكية، و تخلفنا الحضاري ، ولا خلاص لنا إلا بالعودة إلى شريعتنا الغراء. ففي هذا السياق يقول : «ليس بالإمكان القيام بعمل إيجابي بناء مع التهاون في الدين، حيث اقتربت الحضارة القرآنية من الظهور، وأوشكت الحضارة الأوروبية الضالة المسؤولة عن ضعف الدين على التمزق والانحيار، أما القيام بعمل سلبي فليس الإسلام بحاجة إليه، كفاه ما تعرض له من جروح ومصائب»².

¹ - انظر سعيد النورسي: المكتوبات ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزر للنشر والتوزيع، 2011، ص 42

² - انظر سعيد النورسي: المثوي العربي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزر للنشر والتوزيع، 2011، ص 202

المطلب الثاني : مكانة مسألة النبوة عند النورسي

تحتل النبوة موقعا مميّزا عند النورسي ، وأنها لامست جانبا من تأليف (رسائل النور) من ضمن الوسائل التي مكنت للنورسي النزول إلى واقع المجتمع، ولامسه في العمق : « إن المجموعة الكاملة لرسائل النور هي المرشد العلمي المعنوي لهذا العصر »¹. ولكي يستجاب لهدي النبوة وأوامرها- لا بد أن تكون حاضرة في أذهان الناس والمؤمنين بها خاصة وأنها بعد القرآن الكريم المعجزة المتحدى بها واستثمارها لاستئناف المسيرة النهضوية الحضارية للأمة الإسلامية. وزاد من تعميق المشكلة هجوم الغرب المركز على السنة وطعنه فيها، الذي اجتهد كي يقيم غشاوة بين الأمة المصابة وبين هدي النبوة حتى إذا خلا له الجو فعل بما يشاء وفق مقاصده وغاياته الخبيثة ولتجاوز هذه المعضلة كان لا بد من قراءة جديدة عصرية لهدي النبوة تلامس كل جوانب الحياة لتتير لهم الطريق وتحميهم من الانحرافات.

وحدث أن كتب الزنديق زمانه كتابا حوى افتراءات على القرآن الكريم وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم فكان يرى النورسي أن رسالتي: "المعجزات القرآنية" و"المعجزات الأحمدية" بمثابة جدار صدّ في وجه مثل هذه المحاولات التشويشية على عقائد الإسلام، غير أنه يتأسف في السياق ذاته لأولئك الذين لم يطلعوا على رسائل النور، إذ قد يلحقهم الضرر، ثم لا يتمكنون من معالجة أمراضهم المعنوية².

والنورسي رحمه الله نهج منهاجا غير بعيد عما انتهجه من قبله من العلماء، إلا أنه تناول هذا الموضوع وفق رؤية أخرى فيها لمسات حديثة وتندفق منها الجدة، ويستخلص منها دقة التعامل مع القرآن الكريم، فنجده يحرصها في أربعة: وهي التوحيد والحشر والنبوة والعدالة ويضيف مصطلح العبودية لا باعتباره مستقلا بذاته، بل تابع للعدالة حيث يقرر في المثنوي العربي النوري: أعلم أن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، الرسالة، والحشر، والعدالة مع العبودية.

¹ - انظر سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص103

² انظر سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص173

إن المشكلة قد لا تبدو واضحة إذا نظرنا إليها من خلال الزمن الراهن، ولكن إذا أرجعناها إلى إطارها الزمني والمكاني، فإننا نجد أن النورسي عاش في الفترة التي بدأت تبرز فيها المدينة الغربية متفوقة، متقدمة قافلة السير بالحياة البشرية، وبدأت في الفترة ذاتها تجذب إليها إعجاب الأمم الأخرى، لاسيما الشعوب المتخلفة، وكانت الأمة الإسلامية بصفة عامة قد نال منها الضعف والجهل والانحطاط آنذاك، فكان بديهي أن يتوجه كثير من أفرادها للنهل من المدينة الغربية وفق قانون ولوع المغلوب بتقليد الغالب¹. وفي ظل هذه الظروف الحرجة أثار النورسي مسألة الإعجاز بالقرآن والسنة، للعودة بالمجتمع إلى رحابة الإسلام، ومن أجل إثبات الأساس الذي تبنى عليه الحقائق الإيمانية. حيث ركز النورسي على هدفين اثنين:

- 1- بيان مقاصد النبوة، لتكون أرضية تتيح فهم معاني القرآن وأحكامه وحقائقه الإيمانية.
- 2- توظيف النبوة باستعمال أساليب مقنعة للدفاع عن العقيدة، بعد هذا التحديد المنهجي لموقع كل من النبوة ومقاصدها من استراتيجية التجديد الاصلاحى الذي رسمه النورسي، و يمكننا التطرق إلى تفاصيل موضوع تناولها في الإطار نفسه الذي رسمه لها، ولكن قبل ذلك، نود أن نلخص النتائج المتوصل إليها:

أ- من حيث نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

- تعتبر مصدر من المصادر الرئيسية التي تعتمد عليها رسائل النور في الاستمداد والإمداد منهجا ومضمونا.

- لا بد من استثمار النبوة في مراجعة الموروث الثقافى للامة، لتجاوز النظرة التقليدية إلى الحياة عامة، وإلى حقائق النبوة والإيمان خاصة، وللنهوض بالمجتمع الإسلامى حضاريا.

ب- من حيث إعجاز النبوة:

¹ - انظر أبو الأعلى المودودي: نحن والحضارة الغربية ص 08-10، دار الفكر، دمشق

ينصرف النورسي بالتناول النبوي من أجل التوظيف المقاصدي، مثبتا لمصدرية النبوة، ودافعا للشبهات التي نسجت حولها، ويوظفها في السياق نفسه ليثبت الحقائق الإيمانية والاخبار عن عالم الغيب.

المبحث الثاني : النبوة عند النورسي والمنهج العام لتوظيف المسألة

المطلب الأول : طريقة توظيف النبوة عند النورسي

النورسي في تحديده العام لمفهوم النبوة ؛ لم يولي اهتماما بالتحريف اللغوي أو الاصطلاحي، تارة يعبر بالنبوة والأنبياء وأخرى بالرسول أو الرسالة وإنما اهتم ببيان الجانب الوظيفي والمعاني الجوهرية لمهمة الأنبياء والرسول ، فتراه يدرجها في كلامه عن مقاصد القرآن الأربعة بقوله: أن مقاصد القرآن الأربعة هي (التوحيد، النبوة، الحشر، العدالة مع العبودية)¹ فهو لا يخرج عما حدده السابقون، فهو يرى، " أن السبيل الوحيد لسعادة الإنسانية في حياتها الدنيوية ومآلها الأخروي، هو الرجوع إلى الكتاب الكريم والتمسك بالسنة النبوية، وأن النبوة بمفهومها العام ومهمة الرسل الكرام أحد المقاصد القرآنية الأربعة التي ركز عليها النورسي في رسائله النورانية"². وفي إطار هذا المفهوم يعتبر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بجميع معجزاته وخصوصياته، معجزة للقرآن الكريم، يقول: «...فإن محمدا عليه الصلاة والسلام بكل معجزاته ودلائل نبوته وكمالاته العلمية معجزة أيضا للقرآن الكريم وحجة قاطعة على أن القرآن كلام الله رب العالمين»³.

وتسمية النورسي لهذا النوع بـ « المعجزة المعنوية للقرآن الكريم » يدلُّ على تفريقه بين الإعجاز الحقيقي للقرآن الكريم الذي وقع به التحدي، وبين ما يصلح كدليل يدعم صدق القرآن، ومصدرته الإلهية، فهو يعتبر الأدلة التي يصح الاستدلال بها على صدق القرآن معجزة له لكونها تؤيده، ولكن يسميها بالمعجزة المعنوية كي يفرق بينها وبين الإعجاز بالمعنى الحقيقي، ويتوضح هذا المفهوم أكثر عندما يتحدث عن كتب التفسير التي ألفت عبر التاريخ، والتي تعتبر هي الأخرى معجزة معنوية للقرآن، إن لم تكن بمفردها فبمجمعتها: «...وكذا فإن آلاف العلماء الأفذاذ الذين قام كل منهم بكتابة تفسير للقرآن

¹ - انظر سعيد النورسي: اشارات الاعجاز في مظان الایجاز، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزر للنشر والتوزيع، 2011، ص22

² - حامد أشرف همداني: مفهوم النبوة وضرورتها للبشرية بمنظور رسائل النور: ورقة بحث

³ - انظر سعيد النورسي: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزر للنشر والتوزيع، 2011، ص518

الكريم في مجلدات بلغ قسم منها ثلاثين أو أربعين مجلدا، بل سبعين مجلدا، وبياناتهم بأسانيدهم ودلائلهم لما في القرآن مما لا يحد من المزايا السامية والنكات البليغة والخواص الدقيقة والأسرار اللطيفة والمعاني الرفيعة والاحبارات الغيبية الكثيرة بأنواعها المختلفة، وإظهار كل هؤلاء لتلك المزايا وإثباتهم لها دليل قاطع أن القرآن الكريم معجزة إلهية خارقة»¹. فالمعجزة المعنوية للقرآن إذن لا تعدو أن تكون الأدلة التي تدعم حقيقة إعجاز القرآن الكريم، وهذا الأخير هو الذي ظل النورسي يدندن حوله وألف من أجله «رسالة المعجزات القرآنية» وكتاب «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز»، وهو المفهوم الذي يوقف به في وجه الأعداء والمعاندين باعتباره المتحدى به.

¹ - انظر سعيد النورسي: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص 523.

المطلب الثاني : المنهج العام لتوظيف مسألة النبوة

أن النورسي يتناول مسألة اعجاز النبوة في سياق بحث الحقائق الإيمانية وإثباتها من حيث الإعجاز، وهذا يظهر أكثر عندما تذكر أغلب السياقات العامة التي تناولها في إطار جزئياتها ومباحثها. فعلى سبيل المثال نجد في رسالة "الآية الكبرى" ، وننظر فيما حوته من مباحث الإعجاز، نجد أنها وظفت لتدعم حقيقة كبرى هي: شهادة جميع الموجودات لحقيقة الموجد لهذا الوجود، فيبدوها بقوله: «إن حكمة مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا والغاية منه، هي: معرفة خالق الكون سبحانه، والإيمان به، والقيام بعبادته، كما أن وظيفة فطرته وفريضة ذمته هي: معرفة الله والإيمان به وتصديق بوجوده ويوحدانيته إذعانا ويقينا»¹.

ثم يشرع في تحيّل سائح يسأل الكون عن خالقه انطلاقاً من قوله تعالى: « يسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً »². فيسأل السماوات والأرض والجو والبحار... وغيرها من مخلوقات الكون، ويعرض دلالتها على خالقها، ثم ينتقل إلى عالم الإنسان ودنيا البشر ليوقف على شهاداتها، ثم ينتقل إلى شهادات عالم الملائكة، فعالم الغيب والبرزخ، فالنبي صلى الله عليه وسلم بجميع أوصافه وسجاياه وخصاله... الخ، وبقي ذلك السائح متنقلاً يطلب الشهادات على حقيقة الوجود ومعرفته إلى أن وصل إلى القرآن، يقول النورسي: «ثم إن السائح الذي لم يناله تعب ولا شبع، والذي علم أن غاية الحياة في هذه الدنيا بل حياة الحياة إنما هو الإيمان، حاور هذا السائل قلبه قائلاً: أن كلام من نبحت عنه هو أشهر كلام في هذا الوجود وأصدق وأحكمه، وقد تحدى في كل عصر من لا ينقاد إليه، ذلك القرآن الكريم ذو البيان المعجز، فلنراجع إذن هذا الكتاب الكريم، ولنفهم ماذا يقول، ولكن لنقف لحظة قبل دخولنا هذا العالم الجميل لنبحث عما يجعلنا نستيقن أنه كتاب خالقنا نحن، وهكذا باشر بالتدقيق والبحث»³. ثم يضيف قائلاً: «

¹ - انظر سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزر للنشر والتوزيع، 2011، ص135

² - سورة الإسراء: 44

³ - انظر سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزر للنشر والتوزيع، 2011، ص173

هذا وقد أحال السائح إثبات وجه الإعجاز للقرآن الكريم، وأنه كلام الله سبحانه حقاً إلى "رسائل النور"
"إلا أنه أنعم النظر في بضع نقاط تبين بإشارة مختصرة عظمة القرآن الكريم" ¹ وهنا بدأ حديثه عن
إعجاز القرآن بما يدعم المقصد الأول الذي ألفت من أجله رسالة "الآية الكبرى"

خادماً لهدها، فالمسألة هنا جاءت لتلقين العقل وبث الاطمئنان للقلب عن حقيقة معرفة الله
والإيمان به، فمسألة الإعجاز هنا لم تبحث لذاتها، بل في سياق المقصد الإيماني، وعند إمعان النظر فيما
ختم به بحثه عن مسائل الإعجاز ضمن هذه الرسالة تتأكد لدينا النتيجة السابقة، يقول على لسان ذلك
السائح: ويقول في موضعٍ آخر عن الهدف من وراء تأليف رسالة الآية الكبرى: « فعلى الذين يطلبون
إيماناً راسخاً لا يتزعزع، والباحثين عن سيف لا يثلم تجاه الفوضى الملحدة أن يراجعوا رسالة "الآية
الكبرى" ² ونجده كذلك يتناول موضوع الإعجاز في الكلمة التاسع عشر "إثبات الرسالة الأحمديّة"
بالمهج والغرض نفسيهما، فهو يذكر أربعة عشر رشفة يثبت بها الرسالة الأحمديّة، وفي الرشفة الرابعة
عشر بالذات يتحدث عن الإعجاز، مفتتحاً حديثه بقوله: « إنّ مما يعرّف لنا ربنا هو ثلاثة معرفين أدلاء
عظام: أوله: كتاب الكون... ثانيه: هو الآية الكبرى لهذا الكتاب العظيم، وهو خاتم ديوان النبوة صلى
الله عليه وسلم. ثالثه: القرآن الحكيم » ³.

"فالقرآن الكريم المعجزة الباقية المستمرة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فقد
رويت معجزاته الأخرى في كتب الحديث، وبلغت حد التواتر المعنوي (لا اللفظي)، منها: - انشقاق
القمر: أن الله سبحانه وتعالى شق القمر المعلق في السماء والمرتبط مع الأرض بإشارة من عبده في
الأرض، فأظهر معجزته هذه، إثباتاً لرسالة ذلك العيد الحبيب، حتى أصبح صلى الله عليه وسلم كالفلقين

¹ انظر سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزر للنشر والتوزيع، 2011، ص 174

² انظر سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزر للنشر والتوزيع، 2011، ص 671

³ - انظر سعيد النورسي: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزر للنشر والتوزيع، 2011، ص 254 بتصرف

المميزين للقمر، فخرج إلى أوج الكمالات بجناحي الولاية والرسالة النورانيين. حتى بلغ قاب قوسين أو أدنى واصبح فخرا لأهل السماوات كما هو فخر لأهل الأرض"¹.

"و لو أردنا أن نتوقف عند كل المعجزات لما كفتنا الصفحات الطوال لهذا نشير إليها بمجملته، ذلك أنها دلائل النبوة المحمدية لا تعد ولا تحصى، وقد ذكر قسما منها في الكلمة التاسعة عشرة والمكتوب التاسع عشر)، و ذكر في السياق نفسه أن مع شهادة "معجزاته البالغة إلى ألف، ومع شهادة "القرآن" البالغ وجوه إعجازه إلى أربعين، وفق ما أوردها في الكلمة الخامسة والعشرين) على رسالة محمد عليه الصلاة والسلام.."²

وكذا الإخبار بالغيب: فهذا الافتتاح نفسه يوضح المنطلق الذي دفعه لفتح موضوع الإعجاز، لقد جاء لخدمة موضوع التعريف بالخالق، الذي بدوره بحث لخدمة موضوع إثبات "الرسالة الأحمدية" فلم يخرج عن إطار المقصد الإيماني. ويضيف النورسي في السياق نفسه: «إعلم أن القرآن الكريم الذي هو بحر المعجزات والمعجزة الكبرى، يثبت النبوة الأحمدية والوحدانية الإلهية إثباتا وقيم حججا ويسوق براهين، ويبرز أدلة تغني عن كل برهان آخر، فنحن هنا سنشير إلى تعريفه، ثم نشير إلى لمعات من إعجازه تلك التي أثارت تساؤلات لدى البعض»³، فتحدث عن:

1- تكرارات القرآن مبرراً دواعيه، ومفندا الشبهات التي نسجت حولها.

2- لماذا يجمل القرآن عند تناول حقيقة الكائنات بالبحث ولا يفصلها؟

أما عن "رسالة المعجزات القرآنية" فإن الإشادة بها، والإحالة عليها عند إرادة دعم بعض الحقائق الإيمانية حسب ما تقتضيه الحاجة، يتكرر كثيرا في ثنايا رسائل النور إضافة إلى الإحالة على الرسائل

¹ - مقاصد رسائل النور في ضوء القرآن الكريم-دراسة تحليلية- عمار جيدل، كلية العلوم الاسلامية-ج الجزائر-يوسف بن خدة، ص165

² - انظر سعيد النورسي: المثنوي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص66

³ - المرجع نفسه ص264

الأخرى، مما يدل دلالة واضحة أن تأليفها وباقي الرسائل لم تؤلّف ترديداً لأقوال السابقين كما هو الشأن في عصر التقليد، إذ لم يكن همُّ النورسي الاعتناء بالجمع والترتيب والتبويب أو التبني والرد، بقدر ما كان همه التوظيف الفاعل لتحريك العقل والقلب إلى حقائق الإيمان وتمثلها السلوكي.

المبحث الثالث : منهج توظيف تفاصيل جوانب النبوة

المطلب الأول : الجانب الدلالي

يرى النورسي أنه من الواجب اثبات النبوة بالأدلة العقلية لا النقلية مع إثباته النبوة من مقاصد القرآن الكريم ، وذلك من خلال ما أثبتته في التوحيد من استخراج دلائل التوحيد والنبوة من القرآن في قالب عقلي حاجج به منكري النبوة الذين لا يؤمنون بقدسية النص القرآني ولا بصدقيتها¹ . ومما يوحي بأن النبوة شغلت جزءا مهما من الوحي ، تصريحه بأنه : "يمكن استخراج ألف معجزة من القرآن"²، كما يرى النبوة من حيث الاستدلال ، أنها تظاهر للألوهية ، وقيمها على أنها مؤسسة واجبة للارتفاع والسمو عن دركة الحيوانية³ .

يثبت النورسي مسالك النبوة في أربعة والخامسة منها مشهورة مستورة هي كالآتي:⁴

أ- المسلك الأول في إثبات النبوة: تظهر من معرفة ذاته وصفاته ، إن النبي عليه الصلاة والسلام كان على الفطرة في خلقه ولم يكن متصنعا، إذ بلو كان كذلك لأومأت فلتات هيئته العامة إلى التصنع والتكلف، كما أن الأخلاق العالية إنما تتصل بأرض الحقيقة ب "الجدية"، وهي إدامتها محتاجة إلى انتظام مجموعها، ولا طريق لتثبيته بغير "الصدق". ومتى ما انقطعت عرى الصدق والجدية منها صارت كهشيم تذروه الرياح. و قد تحقق له ذلك أنه ربط ميله بما طلبه الشارع الحكيم، تدل على ذلك آثار محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته المباركة وتاريخ حياته تشهد - مع تسليم أعدائه - بأنه لعلى خلق عظيم، وأنه قد اجتمعت فيه الخصال العالية كافة.

¹ - عبد الهادي الخليلي: فقه المقاصد والحكم في فكر النورسي: ندوة دولية في فقه المقاصد والحكم في فكر بديع الزمان سعيد النورسي، أكادير: منشورات جامعة القرويين، 2008، ص50 (بتصرف)

² - . انظر سعيد النورسي: المثنوي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزر للنشر والتوزيع، 2011، ص22

³ - نفس المرجع السابق ص22

⁴ - سعيد النورسي ، صيقل الاسلام، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، ط6، القاهرة: سوزر للنشر والتوزيع، 2011، ص132 إلى 148

ب - المسلك الثاني: تاريخ النبي عليه الصلاة والسلام الحياتية: فيحسن استعمالها في مواضعها ثم يبني معاه عليها، فان ذلك يدل على مهارته أكبر شاهد على نبوته، فمراجعة صحيفة ماضيه عليه الصلاة والسلام برهان على نبوته، يشهد لهذا البرهان أن من يأخذ أساسات علم وفن - أو في القصص - ويعرف روحه والعقد وحقاقته في ذلك العلم. كما أنك لو كنت عارفا بطبيعة البشر، لا ترى أحدا يتجاسر بسهولة على مخالفة وكذب ولو حقيرا، في قوم ولو قليلين، في دعوى ولو حقيرة، بحيثية ولو ضعيفة. ومع أنه أمني لا يقرأ ولا يكتب، إلا أنه يبحث في أمور لا يستقل فيها العقل وحده، ويظهرها بكمال الجدية، ويعلنها على رؤوس الأشهاد.. أفلا يدل هذا على صدقه؟¹

د. المسلك الثالث مسألة الشريعة التي تمثل صحيفة المستقبل: في مسألة صحيفة و تظهر حجتها باقتضاب من وجوه المستقبل، لاسيما مسألة الشريعة. لا بد من ملاحظة أربعة - إن شخصا لا يكون متخصصا، وصاحب ملكة، في أربعة علوم أو خمسة منها، إلا إذا كان خارقا. الرسول كان إنسانا وحيدا لا خبرة سابقة له في أمور الأنظمة والمجتمع، ولم تعنه احوال زمانه وبيئته، الا انه اسس نظاما، وارسى عدالة، تلك هي الشريعة. التي هي كخلاصة جميع قوانين العلوم وكأنها حصيلة تجارب كثيرة، بل لا يبلغ ادراكها الذكاء مهما توسع، تلك الشريعة متوجهة إلى الأزل، معلنة انها آتية من الكلام الأزلي، ومحققة سعادة الدارين. فإن أنصفت تجد أن هذا ليس في طوق بشر، في ذلك الزمان، بل خارج عن طوق النوع البشري قاطبة. الا اذا افسدت اوهام سيئة بالتغلغل في الماديات طرف فطرتك المتوجهة نحو هذه الحقائق.²

¹ - سعيد النورسي ، صيقل الاسلام، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011 ص135

² - سعيد النورسي ، صيقل الاسلام، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011 ص136

ج- المسلك الرابع: في مسألة صحيفة المستقبل لاسيما مسألة الشريعة:¹

أن شخصا لا يكون متخصصا ، وصاحب ملكة ، في أربعة علوم أوخمسة منها، إلا إذا كان خرقا. كذلك تفاوت المسألة الواحدة عند متكلمين ،أحدهما وظفها في سياق بديع ملائم للكلام ،فهذا يدل على مهارته، والآخر أهمل استعمالها فهذا دل على جهله .ايضا كثير من الكشوف كانت تعد من الخوارق في العصر السابق ،فهي في عصرنا تعد من الأمور الاعتيادية . فالشريعة فصلت وأوضحت في مواقع اللزوم و مظان الاحتياج ، وفق ملائمتها للعقل حسب العصر،

د-. المسلك الخامس: إثبات النبوة بالمعجزات الظاهرة والخوارق المعروفة: العمدة في إثبات هذا المسلك كتب السيرة والتاريخ فإنها مشحونة بها...إن الخوارق الظاهرة وإن كان كل فرد منها غير متواتر، ولكن جنسها، وكثيرا من أنواعها متواتر بالمعنى الخوارق والمعجزات على تنوعها متفقة النتيجة متناغمة في خدمة إثبات النبوة مثل :

- نبعان الماء من أصابعه المباركة، وكأنه يصور تصويرا حسيا فوران زلال الهداية الباعث للارواح من لسانه .

- انشقاق القمر. وكأن القمر الذي يمثل قلب السماء قد انشق اشتياقا اليه باشارة من اصبعه المبارك عله يجد علاقة مع قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم.

و أعظم هذه المعجزات وأكبرها وأولاها هو القران الكريم المبرهن إعجازه بجهات كثيرة. المتأمل في المسالك ، بفكر واسع ونظر حاد وبصيرة ذات موازنة وحيدة تامة. ينتهي إلى القول: إن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الدليل الواضح على وجود الإله الذي ندعوا إليه².

● مميزات النبوة الخاتمة:

¹ - سعيد النورسي ، صيقل الاسلام، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011 ص146

² - سعيد النورسي ، صيقل الاسلام، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011 ص146

حيث تميزت بالتنغم مع سائر النبوات من جهة إلهية المصدر حيث أجمع الأنبياء عليهم السلام واتفقوا على الحقائق الإيمانية نفسها ، و هو بنفسه دليل قاطع على وجود الله سبحانه وعلى وحدانيته، وهو إضافة إلى ما سلف شهادة صادقة على صدق نبوته.

المطلب الثاني : الجانب المقاصدي

من هذا المنطلق يظهر جليا "أن النبوة بوصفها مقصدا أساسيا من مقاصد الدين، تندرج فيها مجموعة من المقاصد المتدخلة فيما بينها، فتظهر فيها ومنها. أن محمدا عليه السلام نبي مقصدا منطلق ما سبق تقرير صدق النبوة والرسالة أكمل الأنبياء. . خاتم الأنبياء. مرسل لكافة الأقسام. . شريعته ناسخة لجميع الشرائع، وجامعة لمحاسنها."¹

وإضافة إلى ما سلف فإنه عليه الصلاة والسلام: • مربي أرواح المسلمين ومرشد عقولهم ومحبوب قلوبهم. . جعله الله مدار المقاصد الربانية . محور الغايات الإلهية السامية في الكون. . سبب لرقى قيمة الموجودات وسموها، ومن مظاهر ذلك أنه قال في الدقائق الأولى التي تشرف العالم به " أمتي.. أمتي"²

فالنورسي بسبب مراعاته مقاصد أخرى لا يتقيد بالضبط التعدادي عند تناول المقاصد بالبحث، فقد كان مقصده إثبات الحقائق الإيمانية، فالحكم عنده لا تفصل المقاصد، فمنهجه في التفسير قائم على أربعة اسئلة تفضي إلى استخراج المقصد والحكمة، فعند كل آية يتساءل النورسي : عن المتكلم: من قال؛ وهو الله، وعن المخاطب: لمن قال؛ المناسبة وسبب النزول، وعن المقصد: لم قال؛ الغاية من الحكم، وعن المقال: فيم قال؛ أي اعتبار الحياة. والسؤال الثالث يجتمع فيه المقصد والحكمة، ليست على درجة واحدة لكل الناس، ولكن حكّمه تخص كل طبقة من طبقات الناس في كل عصر من العصور³. فالمقاصد عند النورسي هي الحقائق الاسلامية الكبرى التي قصد القرآن اقرارها والنبوة بيانها لإقناع الناس بها بأسلوب حسب درجة تفاوت الناس في الادراك ، حيث بلور النورسي الأدلة القرآنية في قالب عقلي مصبوغ بالنور

¹ - مقاصد رسائل النور في ضوء القرآن الكريم-دراسة تحليلية- عمار جيدل، كلية العلوم الاسلامية-ج الجزائر -يوسف بن خدة، ص189

² - انظر انضر النورسي، اللمعات، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، ط6، القاهرة، ، دار سوزلر للنشر، 201، ص344

³ - انضر النورسي، المكتوبات، ترجمة احسان قاسم الصالحي ، ط6، دار سوزلر للنشر، 2011، ص253

الروحاني، فأقنع به العقل المادي في عصره وأنعش القلوب ومن ضمن أساسيات المنهجية المقاصدية التي اعتمدها النورسي في استدلالاته مايلي:

أولاً: سلامة الاجتهاد بفقهِ المقاصد:

إذا كانت المقاصد غايات عامة، وكليات وأصولاً، ومصالح أراد الشرع تحقيقها وسعى إلى إقامتها فلا يصح لمن يتصدر للاجتهاد أن يكون عارياً منها، جاهلاً بها، ولذلك نبه النورسي كثيراً عليها وجعل القرآن المصدر الذي منه تستقى المقاصد والكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، وفي هذا المعنى يقول الدكتور الريسوني: (وبما أن المقاصد هي مقاصد الرب سبحانه، فلا بد أن يكون تحديدها والتصريح بها صادراً عنه وعن القرآن الكريم، فمثل هذه المسألة لا تحتمل التخمينات ولا التأويلات ولا الاستنتاجات، بل لا بد أن تأتي صريحة ساطعة قاطعة)¹. وفي جوابه عن مسألة فتح باب الاجتهاد قرر النورسي قواعد وضوابط منها: العلم بالضروريات والحاجيات والتحسينيات وفقه مراتبها وعدم تأخير الأولى على من هو دونه مع صرف كل الهمم والعزائم لامتنال الضروريات وأن لا يضيق الاجتهاد المقاصدي بحاجات الزمان، ولا بمصالح العباد.

ثانياً: المصالح حكم مرجحة وليست عللاً للأحكام:

يرى النورسي أن المصلحة حكمة مرجحة، وليست بعلة للحكم. فأحكام الشريعة لا تعلق برعاية مصالح العباد، فالله تعالى أثبتتها تعبدًا، صحيح أن الشريعة جاءت لتحقيق المصالح لكن تفضلاً منه تعالى لا وجوباً. ولذلك لا يمكن القول أن النورسي نفى مسألة التعليل أو أنكرها، وكلامه كله ينهض لما ذكرته عنه، وهو الذي مافتئ يظهر لتلامذته وللعالم أن شريعة الله عدل كلها، ورحمة كلها، وحكمة كلها، كيف وعماد نظرية المقاصد وروحها هو التعليل. ومما يعنيه قول النورسي عدم وجود مصالح خالصة، فهي عزيزة الوجود. والذي شدد عليه النورسي هو أن لتعليل الأحكام حدوداً وضوابط لا يصح تجاوزها، وأن كل

¹ - نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، دار الأمان، الرباط،

تعليل لا يحفظ الكليات المقاصدية للشريعة ويخرج عن مقصود الشارع ولا يعتبر بمسالك التعليل هو تعليل مردود غير مشروع¹.

ثالثا: الوسائل مفضيه إلى المقاصد:

قررت كتب الأصول أن المقاصد متضمنة للمصالح، أما الوسائل فطرق مفضية إلى تحصيل هذه المصالح، وبما أن المصالح ليست على مرتبة واحدة، فكذلك هي الوسائل، قال القراني في الفروق: ”وموارد الأحكام على قسمين:

مقاصد: وهي المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها.

ووسائل: وهي الطرق المفضية إليها، وحكمها حكم ما أفضت إليه من تحريم أو تحليل، غير أنها أخفض رتبة من المقاصد في حكمها. فالوسيلة إلى أفضل المقاصد: أفضل الوسائل، وإلى أقبح المقاصد: أقبح الوسائل، وإلى ماهو متوسط: متوسطة“ وهذا يعني أن الأصل هو المقصد والوسيلة تابعة له، وقد تصير بذلك الوسيلة مقصدا تابعا لمقصد أصلي، والمهم أنه لا عبرة بالوسائل إذا لم تتحقق المقاصد. وقد أشار النورسي إلى تعلق الوسائل بالمقاصد تعلقا حكما لا يخرجها عن مقصود الشارع فقال: ”اعلم! أن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والرسالة، والحشر، والعدالة مع العبودية. فيصير سائر المسائل وسائل هذه المطالب. ومن القواعد: عدم التعمق في تفصيل الوسائل، لئلا ينتشر البحث بالاشتغال بما لا يعني فيفوت المقصد.“ فقد جعل من قواعد منهجية فقه المقاصد عدم الاستغراق في الوسائل أو التعمق فيها بصورة يضيع معها المقصد، فالذي يضبط عمل الوسائل ويرسم مسالكها وحدودها ومواردها هي المقاصد، فيكون الاشتغال بالوسائل بقدر خدمتها للمقاصد.

رابعا: أعلى درجات المقاصد معرفة الله وعبادته:

يعبر النورسي من خلال كتاباته عن منهجية كلية تنأى عن الرؤى التي تجزئ أحكام الدين، أو تلك التي تنيه في جزئياته وفروعه غير حافظة لكلياته ومقاصده. والدين أصول وكليات، والفروع تابعة لها، ولا

¹ - انظر عبد العزيز البطيوي: أساسيات منهج الفكر المقاصدي عند النورسي، العدد 1024، السنة الخامسة، ص 237

يصح حسب النورسي جعل الفرع أصلاً، أو الأصل فرعاً إذ المنطق الأصولي والفقهني لا يقر بذلك. وعليه فإن جميع المقاصد والمصالح ترجع في أصلها إلى مقصد كلي هو: معرفة الله وعبادته، ولأجل هذا المقصد تنزل القرآن، وبعث الله الأنبياء والرسل. وإذا كانت أمهات المقاصد والكليات هي: التوحيد، والنبوة، والعدالة، والحشر، فإنها جميعاً تخدم المقصد الكلي الأعظم الذي هو معرفة الله وعبادته، ورسائل النور كلها دندنة حول هذا المقصد الكلي، لأنه الحقيقة الكبرى في هذا العالم، والغاية القصوى من الخلق.

خامساً: المنهجية المقاصدية من أركانها الموازنة المصلحية:

إذا كانت المصلحة هي جلب منفعة ولذة ومنتعة، والمفسدة دفع ما يقابل ذلك، فإنها توجد على قدر كبير من التداخل والتعارض ليس بمقدور العقل وحده معرفة الحدود بينهما. وإن كان قادراً على إدراك عموم المصالح والمفاسد - وكانت الشريعة بذلك ضرورية لأن "أحكام الشريعة تشتمل على مصلحة كلية في الجملة، وعلى مصلحة جزئية في كل مسألة على الخصوص. أما الجزئية فما يعرب عنه كل دليل في خاصته. وأما الكلية، فهي أن يكون كل مكلف تحت قانون معين من تكاليف الشرع في جميع حركاته وأقواله واعتقاداته. فلا يكون كالبهيمة المسيية تعمل بهواها، حتى يرتاض بلجام الشرع". وقد عرف عن النورسي الكثير من الموازنات الدالة على الترجيح بين المصالح والمفاسد.

سادساً: المنهجية المقاصدية من أساسها المفاضلة والترتيب:

وهذا أساس متفرع عن الأساس السابق وتابع له، إذ تفترض العقلية المقاصدية منطق التراتبية والمفاضلة بين المصالح، وهو جزء من فقه الموازنات الضامن لقدسية الثوابت، الذي يعرف متى يكون مرناً ومتى يكون صارماً؛ وعلى هذا الأساس رتب النورسي دوائر الدين إلى أربع بحسب المصلحة المترتبة عليها، وبقدر تعلق الدوائر بها، يقول النورسي: "إنه ينبغي لهذا العصر من مجدد له شأنه ليقوم بتجديد الدين والإيمان، وتجديد الحياة الاجتماعية والشريعة، وتجديد الحقوق العامة، والسياسة الإسلامية، ولكن أهم تلك الوظائف، هو التجديد في مجال المحافظة على الحقائق الإيمانية، فهي أجل وأعظم تلك الوظائف الثلاث؛ لذا تبقى دوائر الشريعة والحياة الاجتماعية والسياسية في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة بالنسبة لدائرة الإيمان. إن القاعدة الإيمانية إذا تكونت فإن تطبيق الشريعة وأحكامها يأتي خطوة طبيعية تالية،

ولكن لا قيام للشريعة من غير قاعدة إيمانية. “هي إذن دوائر أربع تحفظ للدين مكانته وهيمنته الشاملة على حياة الإنسان والمجتمع والدولة والأمة، والتجديد في كل واحدة منها مطلوب وضروري. وحيث أن مدار الأمر كله على العقيدة والإيمان، فإن إحياء حقائقه، وتثبيت أصوله، وتحديد معانيه في القلوب جدير بأن يهيئ النفوس والعقول للاستمسك بالدين وتحكيمه في قضايا التشريع والاجتماع والسياسة، ونظرا لهذه المفاضلة في الدور والوظيفة تأتي هذه الدوائر مرتبة على الشكل الآتي: تجديد الإيمان، وتجديد قضايا التشريع والقانون والحقوق العامة، وتحديد الحياة الاجتماعية، وتحديد الحياة السياسية. وبناء على ذلك لم تشغل النورسي فروع الفقه وجزئياته، وإنما شغلته أمراض القلوب، شبهات وشهوات، فقام يرد هذه القلوب إلى عافيتها،

ويؤسس -بنظرة مستقبلية راشدة- لمجتمع مؤمن صادق، يكون قادرا على حمل الرسالة إلى العالم. فأكثر ما أصيبت الأمة أنها أصيبت في دينها وإيمانها بالله، وتحميلها بالقيم والأخلاق، فكانت دعوة النورسي دعوة إيمان وأخلاق أولا، وهذا ليس تبعيضا للدين، وإنما مرحلية في التصور وتدرج في التطبيق.

سابعا: من تمام كمال المنهجية المقاصدية تذوق حلاوة الإيمان.

إن المنهجية المقاصدية حينما تتجه صوب سير أغوار مقاصد الدين وفهم أحكامه وهي عارية من خبر الإيمان واليقين، وتحريك القلوب والأحاسيس، وخالية من الرقائق المذكورة بمقامات العبودية، وحينما يخلق الفقيه أو المجتهد في فتواه وهو لم يذق بعد حلاوة الإيمان تتحول هذه المنهجية إلى تقريرات يضيق بها القلب لعدم براءتها من الهوى، لذلك لا يصح الاجتهاد المقاصدي، ولا تثبت صنعة المقاصد إلا من عالم فقيه تقوي ورع، فمالك أمر المنهجية المقاصدية أولا التقوى والتجرد والبراءة من الأجر الدنيوي.

المطلب الثالث : باقي الجوانب (الغيبى البلاغى العلمى)

الفرع الأول: الجانب البلاغى:

عند الإشارة إلى الجانب البلاغى نلمس البعد المقصدى ، يقول النورسى : «ولما كان القرآن الكريم يسوق جزالة البيان وبلاغة الكلام مقدما ويكررها كثيرا، فكأنه يرمز إلى أن البلاغة والجزالة في الكلام -وهما أسطع العلوم والفنون- سيلبسان أزهى حللها وأروع صورهما في آخر الزمان، حتى يغدو الناس يستلهمون أمضى سلاحهم من جزالة البيان و سحره، ويستلمون أربح قوتهم من بلاغة الأداء، وذلك عند بيان أفكارهم ومعتقداتهم لإقناع الآخرين بها، أو عند تنفيذ آرائهم وقراراتهم» . فالبعد المقصدى عموما هو الذي دفع النورسى لإعادة إثارة مسائل الإعجاز ، في القرآن والسنة المطهرة ، فهو يبدأ ببسط حال البلاغة في العرب قبل نزول القرآن، مركزا على تمكنهم منها إلى درجة البراعة التي لا تظاهى، ويبرر سر تفوقهم فيها تبريرا منطقيا يتلخص في أميتهم التي اضطربهم إلى حفظ موروثاتهم الثقافية في محفوظ كلامهم بدلا من الكتابة . فدعت الحاجة إلى تجويد وسيلتهم هذه وجعلها أكثر رواجاً، فأصبحت بذلك مدار اعتزازهم حتى مجدوا وخلدوا البارعين منهم فيها. ويصور الجو الذي ساد بعد نزول التحدي بأسلوب يجذبك إلى متابعة تسلسل الأفكار باستعمال الخطاب الحوارى، فيجد القارئ وهو يتابع الفقرات أنه المخاطب المباشر، وكأن الكلام موجه إليه خاصة. بأسلوب في منتهى التوافق والانسجام بحيث لا تعيق حقيقة أخرى: قال النورسى: «إن القرآن المعجز البيان قد جمع أنواع البلاغة وجميع أقسام فضائل الكلام وجميع أصناف الأساليب العالية، وجميع أفراد المحاسن الأخلاق، وجميع خلاصات العلوم الكونية، وجميع فهارس المعارف الإلهية، وجميع الدساتير النافعة للحياة البشرية الشخصية والاجتماعية، وجميع القوانين النورانية السامية لحكمة الكون ..وعلى الرغم من جمعه هذا لا يظهر عليه أي أثر كان من آثار الخلط وعدم الاستقامة في التركيب أو المعنى»

يتفق كثير من الباحثين أن مسيرة الإبداع في مجال الإعجاز القرآني توقفت بعد عصر الزمخشري الذي انتقل بالإعجاز البلاغي-الذي هو عمدة وأساس الإعجاز القرآني -من النظرية إلى التطبيق، إلا أنه بالإمكان القول أن النورسي خطا بها خطوات إضافية زادت على جهودات الزمخشري.

فرغم عدّ الزمخشري أول من طبق نظرية النظم على القرآن الكريم من بدايته إلى آيته إلا أنه لم يتتبع الإشارات البلاغية تتبعا دقيقة جملة بعد جملة، وكلمة بعد كلمة، وهذا لا يعكس صورة كاملة للنظرية في جانبها التطبيقي، بينما كان منهج النورسي -كما في كتابه إشارات الإعجاز في مغان الإيجاز- العمل على تتبع النكات البلاغية وتحليلها جملة بعد جملة، وكلمة بعد كلمة بتفاصيلها كاملة. وقد كان النورسي موقفا إلى حد بعيد في استثمار التراث الفكري في مجال الإعجاز، وفي استلهاهم القرآن الكريم -الذي جعله محور التأصيل للمسألة- فكان بحق مدافعا عن القرآن بالقرآن.

الفرع الثاني: الجانب الغيبي:

مربط فاعلية العبودية في طريق النبوة، الاستحضار العقلي والقلبي للمعاد، فمن فعل خيرا بإخلاص نال خيرا في الدنيا والآخرة، ومن فعل غير ذلك كان جزاؤه من جنس عمله قال تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ آل عمران 185.¹

ونظرا لما للحشر من أهمية في حياة المسلم المادية والمعنوية، كلف جميع الأنبياء بالحث على النظر إليه، خاصة وهم ذوو الأرواح النيرة وفي مقدمتهم الرسول الأكرم ، وجميع الأولياء وهم أقطاب ذوي القلوب المنورة، وجميع الصديقين وهم منابع العقول النافذة النيرة، كل أولئك يؤمنون إيمانا راسخا عميقا به (الحشر) ويشهدون عليه ويشرون البشرية بالسعادة الأبدية، وينذرون أهل الضلالة بأن مصيرهم النار، ويشرون أهل الهداية بأن عاقبتهم الجنة، مستندين إلى مئات المعجزات الباهرة والآيات القاطعة، وإلى ما ذكرته أنت يا ربي مرارا وتكرارا في الصحف السماوية والكتب المقدسة كلها من آلاف الوعد والوعيد. ومعتمدين على عزة جلالك وسلطان ربوبيتك، وشؤونك الجليلة، وصفاتك المقدسة كالقدرة والرحمة والعناية والحكمة والجلال والجمال وبناء على مشاهداتهم وكشفياتهم غير المعدودة التي تنبئ عن آثار الآخرة ورشحاتها. وبناء على إيمانهم واعتقادهم الجازم الذي هو بدرجة علم اليقين وعين اليقين.²

تقرير الأستاذ النورسي لحقيقة الحشر المتضمنة في أدلة إثبات نبوة سيدنا محمد م، من ذلك قوله رحمه الله: " وهكذا فإن الدلائل والحجج التي تثبت صدق القرآن الكريم بل جميع الكتب السماوية، وأن المعجزات والبراهين التي تثبت نبوة حبيب الله بل الأنبياء جميعهم، تثبت

¹ - مقاصد رسائل النور في ضوء القرآن الكريم-دراسة تحليلية- عمار جيدل، كلية العلوم الاسلامية-ج الجزائر -يوسف بن خدة،ص192

² - مقاصد رسائل النور في ضوء القرآن الكريم-دراسة تحليلية- عمار جيدل، كلية العلوم الاسلامية-ج الجزائر -يوسف بن خدة،ص194

بدورها أهم ما يدعون إليه، وهو تحقق الأخرّة وتدل عليها. كما أن أغلب الأدلة والحجج الشاهدة على وجوب واجب الوجود ووحدته سبحانه، هي بدورها شاهدة على دار السعادة وعالم البقاء التي هي مدار الربوبية والألوهية وأعظم مظهر لهما، وهي شاهدة على وجود تلك الدار وانفتاح¹

¹ - نفس المرجع السابق، ص 200

الفرع الثالث: الجانب العلمي:

من معالم التجديد في حياة النورسي، اهتمامه الكبير بالتوجه العلمي والتقني للأمة وبالسير على نظام اقتصادي متوازن، من أجل الوصول إلى البناء السليم للأمة وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى. فالإسلام بأمس الحاجة إلى إعلاء كلمة الله، ليس بالكلام فحسب، وإنما بصياغة حياة الأمة الإسلامية صياغة ربانية في ظل طاعة الله. ولا تستطيع الأمة المحافظة على عزة الإسلام وإعلاء كلمة الله، إلا بأن تعيد بناءها العلمي والتقني والصناعة التخصصية، بتحكيم دستور تقسيم العمل وإبعاد العشوائية والفوضى من حياتها.

هذه بكثير من الإجمال والاختصار، هي معالم فكر النورسي التجديدي. قادها منهج أصولي شمولي عصري، متكامل متوازن، مع قدرة ذاتية فائقة في التخطيط والحركة والاجتهاد، مستندة إلى فهم عميق لأصول الإسلام وفروعه ومعركة ذكية بتطور الزمان العالمي، وملامح عصره ومجتمعته ومشكلاته المستعصية، وكيفية علاجها بالتلمذة على القرآن الكريم ثم الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ثم قراءة الكون بقدرة سرّانية عجيبة حتى أبعد خلية مدركة فيه.

المبحث الرابع: مميزات منهج التوظيف

المطلب الأول: تفعيل المقاصد

يعتبر موضوع المقاصد في فكر النورسي مدخل ضروري لإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، التي ينبني عليها بعد ذلك عملية إثبات باقي الحقائق الإيمانية، ترد ضمنها المسائل ، التي تأتي في الغالب الأعم لخدمة حقيقة إيمانية، كالسمة المقصدية وظف النورسي المقصد الهدائي للنبوة ، فيقول في الرشحة الثانية: "اعلم أن هذا البرهان النوراني الذي دلّ على التوحيد وأرشد البشر إليه، كما أنه يتأيد بقوة ما في جناحيه نبوةً وولايةً من الإجماع والتواتر.. كذلك تُصدِّقه مئاتُ إشارات الكتب السماوية من بشارات التوراة والإنجيل والزبور وزُبر الأولين.. وكذلك تُصدِّقه رموز ألوف الإرهافات الكثيرة المشهودة، وكذا تصدِّقه دلالات معجزاته من أمثال: شق القمر، ونبعان الماء من الأصابع كالكوثر، ومجيء الشجر بدعوته، ونزول المطر في آن دعائه، وشبع الكثير من طعامه القليل، وتكلم الضب والذئب والظبي والحمل والحجر... إلى ألفٍ من معجزاته كما بينها الرواة والمحدثون المحققون.. وكذا تصدِّقه الشريعة الجامعة لسعادات الدارين. واعلم أنه كما تُصدِّقه هذه الدلائل الآفاقية، كذلك هو كالشمس يدل على ذاته بذاته، فتصدِّقه الدلائل الأنفسية؛ إذ اجتماع أعالي جميع الأخلاق الحميدة في ذاته بالاتفاق.. وكذا جمعُ شخصيته المعنوية في وظيفته أفاضل جميع السجايا الغالية والخصائل النزيهة.. وكذا قوة إيمانه بشهادة قوة زهده وقوة تقواه وقوة عبوديته.. وكذا كمال وثوقه بشهادة سيره، وكمال جدِّيته وكمال متانته، وكذا قوة أمنيته في حركاته بشهادة قوة اطمئنانه.. تُصدِّقه كالشمس الساطعة في دعوى تمسُّكه بالحق وسلوكه الحقيقة"¹. ونلمح ذلك عندما يحدثنا عن تكيف القرآن وملاءمته حسب فئات كل عصر، حيث قال: « فكلما شاب الزمان شب القرآن وتوضحت رموزه، فذلك الخطيب الإلهي يمزق ستار الطبيعة وحجاب الأسباب، فيفجر نور التوحيد من

¹ - انظر سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص72

كل آية في كل وقت، رافعا راية الشهادة، شهادة التوحيد على الغيب»¹. فمسألة الإيمان حاضرة بقوة، حيث روعيت كمقصد أصيل، فأساس تضمن القرآن الإشارة إلى الحقائق العلمية لأجل إراث الإيمان اليقيني. ولم يقف النورسي عندما أنتجته (المدينة الحاضرة) من مقررات علمية أشار القرآن إليها، بل تجاوزه إلى جعل الإشارة القرآنية منطلقا للبحث والتوسع فيها. ونجده كذلك يتجاوز الدفاع عن شريعة القرآن إلى تقديمها كبديل حضاري متكامل من خلال المقارنة التي عقدها بين أسس القرآن الكريم والأسس التي قامت عليها المدينة الحاضرة.

¹ - انظر سعيد النورسي: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص 882

المطلب الثاني : العصرية

روح الأصالة في مسألة كمسألة النبوة مكوّن طبيعي وفطري لها، باعتبارها من ألق المسائل بالقرآن الكريم، لذا تعديناها إلى التركيز على ميزة إضفاء روح العصر. فالمشكلة التي تواجه أي عمل توجيهي تذكيري تكمن في أسلوب الخطاب الذي يعتمد المحاطب، إذ عقليات ونفسيات المتلقين تختلف من عصر لعصر آخر، لذا لا بد من تقديم المسائل الإيمانية بأسلوب العصر وروحه، والاستفادة من منتجاته أيا كان منتجها، المهم توظيفها بما يتوافق مع أصالة الأمة، يمكننا ملاحظة ذلك في مسلك النورسي من خلال النقاط الآتية:

1- فعن استثمار النورسي لمنتجات عصره نجده واضحا عند حديثه عن خوارق المدينة الحاضرة، التي يرى أن القرآن الكريم -الذي يخاطب البشرية جمعاء- لم يهملها بل أشار إليها في مقامات مختلفة حسب الحاجة ومقتضى المقام والمناسبة¹. ومقولة مثل قوله: « ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل الفنون المدينة -العلوم الكونية الحديثة- فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة وبافتراقهما تتولد الخيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميم في ذاك² تجلّي لنا صراحة مراعاته لعقليات ونفسيات ومنتجات عصره.

2- من أهم المقاصد التي اعتبرها وهو يؤلف كتاب « إشارات الإعجاز من مظان الإيجاز » مراعاة المخاطبين الجدد من غير الملة الإسلامية الذين ستفرزهم الحياة الاجتماعية والسياسية العكرة، قال النورسي: «: لقد أحس سعيد القديم -بفيض القرآن- أنه سيظهر في هذا الزمان المتأخر كفار لا يهتدون بكتاب، ومنافقون من الأديان السابقة، كما ظهروا في بداية الإسلام، فاكتفى ببيان النكات الدقيقة لتلك الآيات من دون أن يخوض في حقيقة مسلكهم وبيان نقاط ارتكازهم... ومن المعلوم أن رسائل النور: هو عدم

¹ - انظر سعيد النورسي: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص277

² - انظر سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص428

ترك أثر سيئ مهما كان في ذهن القارئ، إذ تجيب أجوبة قاطعة على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من دون أن نذكر الشبهة نفسها»¹.

¹ انظر سعيد النورسي: اشارات الاعجاز، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص18-19 بتصرف

المطلب الثالث: التجديد عند النورسي

برز النورسي بحضور ظاهر، أضفى على منهجه طابعا تجديديا ، يمكن أن نشير إلى البعض منها فيما يلي:

عرض المسائل بما يتلاءم مع جيل عصره، وأخرجها في ثوب جديد يحقق مقاصدها وأبعادها الوظيفية، فتظهر معالم التجديد عند النورسي فيما يلي:

1- القرآن والسنة مصدرا للمعرفة:

فهو تلميذ أمين من تلامذة القرآن الكريم، لا يتبع التجربة الصوفية الضيقة، ذات النفق الواحد، حتى في قمة صفاتها ولا يعدها مصدرا مناسباً من مصادر المعرفة التي يمكن أن تواجه اكتساح الحضارة الغربية المادية المعاصرة لحياة ملة الإسلام والإنسانية فالعصر ليس عصر التصوف وإنما هو عصر إنقاذ الإيمان والإسلام.¹

ولا يتبع فهم الفلاسفة الذين يسلمون أنفسهم للعقل وحده، فيتيهون عبر طرق ملتوية في جبال وعرة، وإنما يذهب إلى النبع الصافي مباشرة، ويأخذ معه الجليل كله، ليشرّبوا من الماء الصافي النмир بلا كدورة الأرض ولا المواد المختلطة بما عبر التضاريس المتنوعة. ويرفض منهج المتكلمين السابقين الذين كتبوا لعصر غير عصره، من حيث المعالجة والمواجهة وطبيعة المادة المعرفية، وإنما يستقي أدلته من عالم الأنفس والآفاق على أصول العقائد الإسلامية.

قال النورسي: "فطريق المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، لا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبني الإنسان ونحن قد اخترنا هذا الطريق".²

¹ - انظر سعيد النورسي: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص239

² - انظر سعيد النورسي: صيقل الإسلام، محاكمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص122.

ومن الجدير بالذكر أن منهج النورسي هذا لا يصطدم مع أي منهج من تلك المناهج مباشرة، وإنما يستطيع صاحب كل طريق الاستفادة منه، من خلال عرض منهجه المتفرد.

وهو لا ينقل لهم في منهجه ذلك علما مصطلحيا محدودا، وإنما ينقل لهم كيانه القرآني في تجربة كونية معرفية خصبة جدا، فانية في القرآن الكريم، ليقدم من خلالها مشاعره المتأججة وآلامه المحرقة، حتى يحتاجوا كما يحتاج هو، ليحصل لهم اندماج رباني كامل في الوجود، من أجل إعادتهم إلى صف العابدين لخالق الكون ومبدع الوجود. لقد أراد النورسي أن يدفع المسلمين إلى قلب القرآن في إطار الصراع الحضاري المعاصر، من خلال تفسير شهودي لكتاب الله سبحانه وتعالى. يشمل ثلاث قراءات متطابقة:

- قراءة الكون الرحيب من خلال تجليات أسماء الله الحسنى،

- وقراءة القرآن الكريم في ضوء تلك القراءة،

وقراءة سيرة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم، حتى يستطيع أن يعيش مع أرقى نموذج مخلوق بعثه الله تعالى قدوة أعلى ومثلا واقعيا للكائن الحي في عوالم الإمكان. وفي ذلك، كان النورسي صاحب إدراك عميق بحقيقة تجديد الإسلام، في هذا العصر إنه مجدد حقا، لأنه لا يدعو إلى النكوص إلى الوراء، ولا سحب التاريخ الماضي بتفاصيله إلى الزمن الجديد، وإنما يؤمن أن الفكر الإسلامي بروافده يمكن أن يتجدد في هذا العصر، وفي كل عصر قادم، حسب المستوى الحضاري الذي وصل إليه.

لقد هضم النورسي المعارف الإسلامية بأدق أجزائها، والمعارف الكونية العلمية بتفاصيلها، ولم يعرضها كما يعرضها العلماء التقليديون، ولكنه تسلسل بجزئياتها خلف قراءاته الثلاث، ليخرج للجيل نمطاً من الحديث يدخل في كينونة الإنسان بسهولة ويسر، من أجل انتشاره من وهدة الإلحاد والمادية واللاذينية إلى سوح الإيمان الرحب والشريعة السمحة والقيم المنبثقة من الصفات الإلهية.

لقد دفعت الظروف القاسية التي أحاطت بالنورسي ومجتمعه، تلك التي أراد فيها أعداء الإسلام فرض الإلحاد واللاذينية بقوة التصفيات الجسدية الجماعية والإعلام الوحيد الكذوب والثقافة المخزنية ذات البعد المظلم على الناس، إلى اتجاه معرفي كلامي جديد. وهو إيجاد علم كلام جديد، ينقل من خلال علم

التوحيد من نظريات عقلية مجردة ومناقشات منطقية جافة إلى أسلوب جديد يصوغ حياة المسلم صياغة ربانية، تقود إلى المعنى الحقيقي للتوحيد بكماله من حيث إنّ التوحيد صلة بين الإنسان والخالق المعبود والحاكم مطلق في الوجود. لقد استطاع النورسي أن يحدد المشاكل الكبرى في حياة الأمة الإسلامية والإنسانية، فعالجها معالجة قرآنية من خلال أدلتها التفصيلية العقلية الفطرية، فحول عقيدة التوحيد بذلك إلى حياة مفعمة بمعاني الإخلاص والاستقامة والتضحية والسلوك والتربية الجماعية، فنجح نجاحاً باهراً في إلحاق الهزيمة باللا دينية في نفوس ملايين من الناس في تركيا في زمانه، وفي العالم بأسره بعد وفاته، عندما ترجمت رسائله إلى اللغات الحية في العالم، فبدأت تغزو العقول والقلوب ليتوجه بها إلى رب العالمين، ويعيد الخطاب في المجتمع الإسلامي والإنساني إلى الله تعالى بعد أن حوله الملاحدة واللا دينيون في العصور الأخيرة إلى الإنسان وحده. إذن كان النورسي يعمل في العصر بتخطيط وعلم وقدرة وذكاء، ولم يكن ككثير من علماء زمانه يعيش في متحف التاريخ.

والآن لنعرض قضايا تفصيلية من خطته في تجديد الحياة الإسلامية في تركيا والعالم الإسلامي، وإنقاذ الإيمان الإنساني وانتزاعه بالبرهان العلمي والعقلي من بين برائن المادية التي كانت تحتاح العالم يومئذ.

2- إصلاح النفس:

يعتقد النورسي أن التغيير الشامل في الحياة الإسلامية، لا بد أن يبدأ من البنى التحتية؛ المعنوية منها والمادية، وليس بوصفات مؤقتة لملء الثغرات الخطيرة في البنيان الفوقي، أي إن التجديد يجب أن يدخل في الخلايا العميقة حتى تسترجع الأمة عافيتها. فاللا دينيون ما تمكنوا من المجتمع التركي إلا من خلال فراغ داخلي في الأعماق. يظهر ذلك في ضعف الدين، وانحراف العقل وخواء الروح واضطراب الأحوال والهزائم النفسية. وكان النورسي على يقين تام أن إصلاح الأعماق سيؤدي إلى وحدة العقيدة ووحدة الأفكار، ووحدة الصف ووحدة القلب وبقظة العقل، واستقرار الأحوال، وهو الذي سيحض المسلمين ويوقظهم

أمام الحضارة الغربية التي اتهم بعقيدة جديدة وأفكار جديدة.¹ وهذا المنهج هو الكفيل بإخراج المسلمين من المنظومة الإلحادية المادية إلى المنظومة الإيمانية الإسلامية بمعناها الشامل، وهو منهج الإسلام وطريقه، وهو منهج وطريق مستقل عن الوجود والحياة، يختلف اختلافا جذريا عن مناهج المادية والروحية الكنسية. وفي سبيل النجاح الأكيد في هذا الحوار الحضاري، واجه النورسي الحضارة الغربية في مواجهتها للإسلام والقيم الدينية والأخلاقية مواجهة تفصيلية. فالقضايا التي أثارها الحضارة الغربية أجاب عنها، وأظهر بأدلة واضحة أن الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا، كان أعمق في معالجته لتلك القضايا وأقرب إلى الفطرة الإنسانية وأكثر انسجاما مع قوانين الحياة. ونجاح النورسي في هذا الحوار ينطلق من أن رسائله النورية، سلكت مسلك الحوار، مع النفس والعقل والروح والقلب، ومع الآخرين من البشر على اختلاف أديانهم، بل الدخول في الحوار مع الوجود كله، من الذرة إلى المجرة إلى الكون كله.

وقد يقول قائل كيف يدخل النورسي في الحوار العقلي مع الغير وهو ينكر الفلسفة أساسا؟ نقول: إذا نظر القارئ نظرة سطحية تجزئية إلى ما كتبه النورسي حول الفلسفة، قد يأخذه ظاهر عبارته العامة إلى تأكيد معاداة المنهج الفلسفي. بينما إذا قرأ ما كتبه الأستاذ بدقة في رسائله حول الفلسفة، توضح أمامه الأمر، لأنه لا يرفض المنهج الفلسفي مطلقا، وإنما هو يقسم الفلسفة إلى قسمين، قسم يعده فلسفة مؤمنة صالحة تتفق مع حقائق القرآن الكريم، فهذا لا يرفضه الأستاذ. وكيف يرفض النورسي الفلسفة الصحيحة، وهو الذي ملأ رسائله بالأدلة المنطقية، وأدلة العلم التجريبي في إثبات حقائق القرآن الكريم والسنة النبوية، فجعل بذلك الحس والعقل مصدرين مهمين من مصادر المعرفة في الوجود. وأما الجانب الآخر من أفكاره التجديدية، فهو دمجها لأنصبه البشر من أسماء الله الحسنى في الصراع الحضاري المعاصر في العالم الإسلامي لاستخلاص المبادئ الأساسية، والشروط الواجبة للنجاح المضمون في عملية إنقاذ المسلمين من براثن المادية المعاصرة وبنائه على جزئيات تجليات تلك الأسماء المقدسة في الوجود. إنني أستطيع أن أجزم أن النورسي بنى رسائله كلها على تلك التجليات. من خلال قراءته للكون،

¹ - انظر سعيد النورسي: صيقل الإسلام، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص459.

لأنه انطلق من الاقتناع الكامل بأن الله تعالى ما ذكر في القرآن الكريم أسماءه الحسنى، إلا لكي يأخذ الإنسان منها نصيبه في إطار بشريته، سواء في مجاله الفردي أم في بنائه الاجتماعي. إنه لم يبين تلك كما فعل ذلك الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه النفيس "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" وإنما أدمجها في تفاصيل الصراعات الحضارية بين الإسلام وغيره من المبادئ والأفكار، منبها إلى ان الإنسان ابتداء من أسرار نفسه وأعماق حياته إلى جزئيات الكون الواسع إن لم يتلق معاني تلك الأسماء في حياته لتنورها، فإنه سيعيش في الفساد المطلق والشرك المطلق والمادية المطلقة.

ومن هنا نجد أنه يعالج قضايا العقيدة والشريعة والأخلاق وتفاصيل النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعسكري والتربوي وغيرها، في ظل مقدار التمثل لتجليات تلك الأسماء المباركة، لأن الكون في فطرته، ومن خلال كل خلية من خلاياه، يسير في ضوء تلك التجليات، وبدونها لا تقوم للكون والإنسان والوجود قائمة قط. لأن الموجودات كلها إنما هي مظاهر لتلك التجليات، بحيث لا تدع مجالاً للغفلة، بل تكسب متأملها مرتبة واسعة من الاطمئنان بسعة الكون، وتفتح أمامه عبودية واسعة ودائمية سعة الكون كله. وهذه الروحانية الوجدانية من جهة أرقى للحصول على الطمأنينة من بعض أرباب الطرق الصوفية الذين وصلوا إلى الفناء بإنكار الكائنات أو نسيانها. ومن جهة أخرى فإنه أقصر طريق للوصول إلى الخالق العظيم، لأن هذه الأسماء متعاضدة تتجلى في إحداث وإنارة كل ذرة من ذرات الوجود.

فكل اسم له فعل في جانب، فقد تشترك صفات القهر والرحمة والعدل والحكيم والحفظ في تنوير وجود فعل لا يمكن أن يفسر إلا عند من يتصف بتلك الأسماء، وليس هناك في الوجود من يتصف بشمولية تلك الأسماء الحسنى وعملها المتوازن في تنسيق كامل إلا الله سبحانه وتعالى الخالق.¹

¹ - انظر سعيد النورسي: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص290

3- الدعوة إلى الله باللين واليسر:

هنالك ناحية أخرى تجديدية، يتسم بها المنهج النوري، وهو تجديده في أسلوب الدعوة إلى الله تعالى، وهو عدم الدخول في تصادمات وصراعات داخلية مع التيارات الإسلامية الأخرى وتوجيه الجهود الدعوية كلها إلى الجاهلية المعاصرة، التي كانت تتمثل في زمانه بحركة الزندقة اللادينية التي فرضها الطغاة بقوة الحديد والنار على المجتمع التركي، بل إن معرفة طبيعة العصر جعلته لا يتخذ موقفا معاديا دعويا أو سياسيا مُعَيَّنًا تجاه الدعوات والجماعات السياسية الأخرى، بل وجه إليهم الدعوة جميعا، لأنهم في رأيه يدخلون جميعا في دائرة ملة الإسلام، على الرغم من أخطائهم المنهجية وانحرافاتهم السياسية.¹

ومن هذا المنطلق، فإنه لم يدع قط إلى الثأر للنفس على الرغم من الظلم الذي تعرض له هو وطلابه وإنما كان يدعو للإسلام في هذا العصر، والتأثير لا يكون بالقوة والغضب، وإنما يكون بالحكمة والشفقة والرحمة وتبليغ دعوة الإسلام وإنقاذ الإيمان. ومن المعلوم أن إنقاذ الإيمان عند النورسي يعني إنقاذ الإسلام من حيث هو كل لا يتجزأ من برائن مخططات الملاحدة والعلمانيين.

قال النورسي موجهًا طلابه إلى هذه المسألة الخطيرة في الدعوة الإيجابية:

"إن واجبنا نحوهم طلب الهداية لهم فحسب، فلا يرد في قلب أي طالب من طلاب النور الثأر ولو بمقدار ذرة، بل أوصيهم دائما مقابل ما لاقوه من العنت الثبات في خدمة رسائل النور والوفاء بها."²
وانطلاقا من منهج دعوته "حسن الظن أساس بالنسبة إلى المسلمين" اجتنب تكفير أهل القبلة، وفي هذا قال (رحمه الله):

"إن من يعرف 'سعيدا' عن كذب يعلم أنه يتجنب تكفير الآخرين تجنباً شديداً ما استطاع إلى ذلك سبيلا، بل يحاول أن يجد تأويلا حتى لو رأى كفرا بواحا."³

¹ انظر سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص424

² - المصدر السابق ص 135.

³ - انظر سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص536

ومن جهة أخرى فإن دعوة النورسي قامت على أساس إنكار الذات والتواضع، والإخلاص وعدم اللهات وراء الشهرة وحفظ النفس وراء الدنيا والدعوة بالحسنى وعدم الإخلال بالمحبة والوحدة. وعدم تضييع الوقت بالجدل والنقاش الفارغ، والاشتغال بالأصول ثم التدرج إلى الفروع، والحركة إلى الأمام دائما وعدم الفتور وعدم الاشتغال بغير قضية الإسلام المركزية والصبر على المصائب، ومحاولة تكوين وضع اجتماعي آمن واجتنب السياسات اليومية الفاسدة.

ولقد ربي النورسي في مجال الدعوة طلابه على الأمل بدل اليأس والتبشير بدل التنفير أساسا لها. إنه يشبه مخافة الله بلجوء طفل إلى حضن أمه المليء بالشفقة. وهذه الخاصية استنبطها من أسماء الله تعالى، الرحمن، الرحيم، الرؤوف.

والدين عند النورسي شيء طاهر ونظيف ولا يجوز استخدامه بزعم مصلحة الدعوة بشيء سيء أبداً. إنه لا بد أن يبقى صافيا طاهرا بعيدا عن الحقد والمذهبية والطائفية والسياسات الآتية، كي ينهل منه الشاردون، ويرجع إليه الضالون، ويرضع منه المؤمنون، كل على قدر حاجته، وما قدر الله له.

4- التصوف الصحيح:

هناك جانب آخر من الحركة التجديدية لهذا الشيخ الجديد وهو إنقاذ الجيل من براثن المتصوفة المنحرفين، الذين قادوا الأجيال إلى الركون والسكون تحت مظلة السير إلى الله تعالى بلا عودة، بينما السابقون من الأولياء الربانيين كانوا يسلكون الطريق إلى الله من أجل العودة إلى الأرض، وهم أكثر إيمانا وقوة وعزما وإقداما في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نعم أثبت النورسي للجيل المثقف الحالي والقادم أن العصر ليس عصر التصوف، لأن التصوف تجربة ذاتية، ولا يستطيع أن يقود حملة الصراع الحضاري الإسلامي مع عوامل النكوص والانحراف ومع هجمة اللادينية المادية الحديثة والزندقة الآتية من الغرب الكافر.

قال النورسي: "لقد كنت أقول أن هذا الزمان ليس زمان الطريقة فالبدع تحول دون ذلك، مفكراً في حقائق الإيمان وحدها. ولكن الزمان أظهر أنه يلزم لكل صاحب طريقة بل الألزم له أن يدخل دائرة رسائل النور التي هي أوسع الطرق."¹

لماذا؟ يجيب الأستاذ:

"إن أخطر شيء في هذا الزمان هو الإلحاد والزندقة والفوضى والأوهام وليس تجاه هذه المخاطر إلا الاعتصام بحقائق القرآن الكريم."²

وموقف النورسي من التصوف واضح في رفضه لمدارج السالكين الطويلة ولنظريات وحدة الوجود ووحدة الشهود والحلول وتقديس المشايخ، وبعد بيان موقفه يعرض البديل، الذي لخصه في الرجوع إلى أورد السنة النبوية الشريفة.³

5- وحدة المجتمع:

من معالم النورسي التحديدية، أنه ركز على وحدة المجتمع الإسلامي، وعارض الإخلال بنظامه الداخلي، واستعمال العنف في سبيل زعزعة أركانه، تحت مظلة إعلان الجهاد على الكافرين اللادينيين. وأكد أن الجهاد في الشريعة لا يوجه إلى المسلمين داخل العالم الإسلامي، وإنما يوجه إلى العالم الخارجي. أما في داخل العالم الإسلامي فإن الجهاد يكون جهاد دعوة وعلم وبذل ونصيحة لإعادة المسلمين إلى حقيقة الإسلام حسب قانون التدرج الكوني.⁴

¹ - انظر سعيد النورسي: الملاحق، ملحق أميرداغ/1، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص261

² - انظر سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص344

³ - انظر سعيد النورسي: الملاحق، قسطنطين، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص208

⁴ - انظر سعيد النورسي: اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص480

إن الحرب التدميرية داخل العالم الإسلامي تؤدي إلى قتل المسلمين بعضهم لبعض، وتنتهي إلى سلب الاستقرار من العالم الإسلامي، فتعيق بذلك نهضته العلمية والعمرائية التي هي مقدمة مهمة لتقدم العالم الإسلامي وهذا التخريب لا يستفيد منه غير الأعداء الكافرين على المدى البعيد.

قال النورسي: "إن من يشق طريقا في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون جميع أعماله لأجل التخريب والشر."¹ والحق أن هذه السياسة الحركية قد أنتجت ثمارا يانعة في تركيا، إذ في ظلها انتشرت رسائل النور، وغزت العقول والقلوب وانتهدت إلى جهاد معنوي كبير وشامل انتهت إلى تكوين جيل مؤمن انطلق في المجتمع ينشر حقائق الإسلام بالتلمذة على رسائل النور في المدارس ودورات تحفيظ القرآن والمدارس الابتدائية والثانوية والجامعات والمؤسسات الثقافية والعلمية، بالنظر أو الاستماع إلى الإذاعات المرئية والمسموعة وقراءة الجرائد اليومية السياسية والعلمية والمتخصصة في شؤون الحياة المختلفة. بينما لو أن النورسي واجه السلطة يومئذ بالتحدى والعنف، لكان يواجه بالعنف والتصفية الجماعية له ولمن يسير معه، واستمرت المحنة زمنا طويلا، ولم نكن لنرى تلك النتائج الباهرة التي ذكرناها قبل قليل.

6- التعامل مع الغرب قاعدته الحجة:

هناك جانب تجديدي مهم في دعوة النورسي الإسلامية في تركيا. وهو تأكيد على أن الصراع بين العالم الإسلامي والعالم الغربي اليوم، ليس صراع القوة والسيوف. لأن الإفلاس الغربي الفكري سيولد فراغا هائلا في الغرب. ومن هنا فإن جهاد المسلمين للعالم الغربي يجب أن يكون جهاد فكر وشرح لحقيقة الإسلام لهم. والدليل على ذلك أن طلائع دخول الغرب للإسلام قد ظهرت، لكون الصراع في هذا الزمان ليس صراع قوة، وإنما هو صراع ثقافي وفكري. أي أن المسلمين عليهم أن يواجهوا الغرب بسيف القرآن، إذا أرادوا هداية شعوبه إلى نور الإسلام.

¹ - انظر سعيد النورسي: اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط6، القاهرة: سوزلر للنشر والتوزيع، 2011، ص162

والحق أن إدراك النورسي السديد لحقيقة الصراع المستقبلي بين المسلم والعالم دفعه إلى توجيه رسائله ليس إلى المسلمين فقط، وإنما إلى الإنسان في أي مكان من حيث العموم. فقد عرض الإسلام ومشكلات العالم الإسلامي، لاسيما الصراع بين الإيمان والكفر وكأنها مشكلات الإنسانية جميعها. أجل كانت دعوة النورسي موجهة إلى الغرب والإنسانية أيضا لأنه:

أ - يبرهن على الإيمان ويثبتته عن طريق نتائج العلم الذي يفهمه الغربيون.

ب - ينقد عيوب الحياة الغربية ومعاداتها للدين.

ج - يرد الشبهات الفكرية على الدين والتي نبتت أساسا من الغرب.

د - يضع نظما فكرية في المجالات التي يفهمها الغربيون.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة الفكرية ، في حدائق النبوة وضلالها الوارفة ، رفقة الشيخ المجدد بديع الزمان سعيد النورسي. أجد نفسي أحصي الجواهر الثمينة التي ملأت بها سلة بحثي هذا كالآتي:

لقد عاش النورسي في أصعب مراحل القرن التاسع عشر والقرن العشرين للأمة الإسلامية ، حيث غرزت ناب الشر فيها ، وتداعت عليها الأمم كما تدعى الأكلة على قصعتها ، ففي هذه المرحلة هوت دولة العثمانيين ، ونمت دولة الملحدون ، حيث تعرضت عرى الإسلام إلى التشويه والتشكيك ، وبرزت العلمانية الحاكمة على الدين ؛ تسفه أحلام المسلمين ، وتدعوهم إلى التحرر والتخلص من عقيدتهم وقيمهم النبيلة ، باسم الحداثة والحضارة ، وبزرع بذور الشر والفتنة بينهم ، لكن الشيخ النورسي تصدى لهذه الهجمة الشرسة من أعداء الإسلام على الإسلام، فوهب نفسه مدافعا عن العقيدة بالقرآن والسنة النبوية الشريفة بمنهج سلس يسري إلى القلوب بحنان ودفء، ففي رده على الخصوم سلك المنهج التالي :

- لإثبات النبوة على أنّها منحة إلهية لإصلاح الدنيا والآخرة، ورحمة إلهية بالبشرية؛ فأخرجها من الشكّ إلى اليقين، مع إيراد البراهين الدالة على الثبوت القطعي لهذه النبوة بالوحي، والعقل، والقلب .
- التأكيد على مركزية النبوة باعتبارها مقصداً من مقاصد القرآن؛ أي إنّ القرآن نزل على الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) لإرساء رسالة النبوة الموجهة إلى البشرية.
- النبوة تتخذ طابع الرسالة والتبليغ عن الله، وأنها منحة إلهية، إلا أن الله يختص لها أناساً خصهم وميزهم بخصائص ليست موجودة في غيرهم من البشر.
- ضرورة النبوة للدعوة إلى توحيد الخالق وإثبات وجوده والدعوة إلى عبادته ، و ضرورتها للإيمان باليوم الآخر، و هي أنموذج رائع للسلوك الإنساني والقيم والأخلاق الفاضلة ، وقمة الحضارة.
- وفي الاجمال تعدّ نبوة محمد عليه السلام من أهم البراهين الدالة على التوحيد عند النورسي؛ فالبراهين التي تعرف لنا ربنا ثلاثة: كتاب الكون، وبرهان محمد، ومعجزة القرآن، هذا ما

أتى به النورسي في أكثر رسائله، وفي بعض المواضع يأتي النورسي بهذا البرهان قبل كتاب الكون ومعجزة القرآن، ويعده البرهان الأول.
وصلى الله على سينا محمد عليه افضل الصلاة وأزكى التسليم.

فهرس الأحاديث الشريفة:

الصفحة	طرف الحديث
67	« إن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله »

فهرس الأعلام:

الصفحة	اسم العلم
18	السلطان عبد الحميد الثاني
23	الشريف حسين أمير مكة
24	أرنولد تويني
25	جمال الدين الأفغاني
25	ومصطفى كامل من مصر
25	وأبي الهدي الصيادي من سوريا
25	وعبد الرشيد إبراهيم من سيبيريا
27	تيودور هرتزل
27	نيولنسكي
30	أتلاو
30	تيمور لنك
30	وطغرك
30	وجنكيز خان
31	محمد رشاد
33	كمال اتاتورك
35	عدنان مندريس

فهرس المصطلحات:

1- مصطلحات علمية :

الصفحة	المصطلح
61	المقاصد
64	العقيدة
69	النبوة
75	الاستدلال
77	علماء الكلام
81	الحقائق الإيمانية
88	السلوكي
89	منهج

2- مصطلحات صوفية:

الصفحة	المصطلح
76	الأقوال والأحوال

3- مصطلحات سياسية :

الصفحة	المصطلح
19	الدستور
19	الاستبداد
20	في البرلمان الإنجليزي
26	مجلس الشيوخ والأعيان
28	اليمقراطية
29	منظمة طلابية
32	دولة علمانية
42	مجلس للشورى

5- مصطلحات الأماكن :

الصفحة	المصطلح
21	الجبيل الأسود
27	القسطنطينية
29	بورصة
34	بارلا
37	نورس

المصادر والراجع:

1- المؤلفات:

(ب)

النבות، لابن تيمية، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، 1985

(ج)

مقاصد رسائل النور في ضوء القرآن الكريم تأليف عمار جيدل كلية العلوم الاسلامية جامعة الجزائر المركزية - بن يوسف بن خدة

(ح)

حسن أيوب، تبسيط العقائد الاسلامية، ط2، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2004

(خ)

في يقضة الأمة ل خديجة النبراوي ط1 ، 1418هـ/1998م مطبعة المدني القاهرة

(س)

ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية

(ش)

نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى 2112 - 2422

(ك)

أتاتورك، الرجل الصنم كمال، ترجمة عبد الله عبد الرحمان، ط1، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 2013

(ن)

صيقل الإسلام (آثار سعيد القديم): ترجمة إحسان قاسم الصالحي. ش سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة - مصر 2002م

الملاحق (في فقه دعوة النور)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة - مصر 2002م

المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة - مصر 2002

للمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة- مصر 2002م
الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة- مصر 2002م
لمثنوي العربي النوري تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة-
مصر 2002م

صيقل الإسلام (آثار سعيد القديم): ترجمة إحسان قاسم الصالحي. شركة سوزلر للنشر، الطبعة
الثالثة- مصر 2002م

سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة- مصر 2002م
إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر،
الطبعة الثالثة- مصر 2002م

(ص)

الصالحي، إحسان قاسم: بديع الزمان سعيد النورسي - نظرة عامة عن حياته وآثاره مطبعة
النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المغرب 1419هـ/1999م .

ليلى الصباغ: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، مطبعة ابن حيان، دمشق. م1982/ 1401هـ

(ع)

علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية
2002.

علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية
2002.

عثمان جمعة ضميرية (1996م)، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (الطبعة الثانية)، السعودية:
مكتبة السوادي للنشر والتوزيع
2- المؤتمرات والملتقيات:

- ندوة دولية فقه المقاصد والحكم في فكر بديع الزمان النورسي، كلية الشريعة /جامعة
القرويين بالمملكة المغربية ومركز بحوث رسائل النور باستانبول /2008م

ملخص البحث:

النورسي مجدد في عصره ، لتمكنه من فقه الواقع الذي يعيش فيه . حيث وصف العلاج لأسقامه، وذلك من خلال العودة إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة وترسيخ الإيمان ؛ بمقاصد القرآن الأربعة : التوحيد، والنبوة ، والحشر ، والعدالة مع العبودية. حيث زواج بين العقل والقلب في الاستدلال من خلال التوظيف المقاصدي بطريقة راقية ملائمة لمستجدات العصر ، حيث ساق النبوة في قالب يصورها بالرحمة التي تحتاجها البشرية والتي تمثل لسان صدق الوحي ، والمخبرة عن عالم الحشر . فأورد في ذلك مسالك جديدة، تعبر عن فهمه العميق للغايات والمقاصد وقراءة واقعه بتمعن.

Abstract:

Ennwrassi is an innovative in his time period. As a matter of fact he understands the situations, conditions and his surroundings well . that's why he depicts the true cure for its illness and flaws through sticking to Quran and Sunna by instilling faith the four pillars of Quran: loneliness, phrophetism, judgement and justice with worship. He intends to the functioning of both mind and heart through Makassed functioning in a well designed method for the last updates of his age. He puts the prophetism in mercy that humanity needs. In turn it represents the truthness of revelation that inform us about judgement day. And cited them with newness in inferences which expresses deep understanding for means and intentions to look deep into its reality thoroughly.

16.....	الفصل الأول: الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي والبيئة التي عاش فيها
17.....	توطئة:
18.....	المبحث الأول : بيئة بديع الزمان النورسي:
18.....	المطلب الأول : الحالة العامة لعصر النورسي.....
19.....	الفرع الأول : السلطان العثماني عبد الحميد الثاني.....
23.....	الفرع الثاني: ظهور الجامعة الاسلامية.....
28.....	المطلب الثاني:الحركات المضادة للسلطان عبد الحميد.....
28.....	الفرع الأول : جمعية الاتحاد والترقي اليهودية المشرب.....
33.....	الفرع الثاني: حركة كمال أتاتورك.....
35.....	الفرع الثالث: تركيا ما بعد كمال اتاتورك.....
37.....	المبحث الثاني:حياة بديع الزمان النورسي وجهوده الإصلاحية:
37.....	المطلب الأول : المولد والنسب والنشأة العلمية.....
37.....	الفرع الأول: الميلاد والنسب.....
38.....	الفرع الثاني: حياته العلمية.....
41.....	المطلب الثاني : نضاله السياسي والفكري ووفاته وارثه العلمي.....
41.....	الفرع الأول: جهوده السياسية والفكرية.....
47.....	الفرع الثاني: وفاته.....
48.....	الفرع الثالث: تركته العلمية.....
49.....	الفرع الرابع: تلامذته.....
52.....	المطلب الثالث :مميزات منهج دعوته.....
53.....	الفرع الأول: سلامة المنطلق.....
54.....	الفرع الثاني : محتوى الخطة الاصلاحية.....
57.....	الفرع الثالث :الوسائل المستخدمة في عملية التبليغ.....
58.....	الفرع الرابع: مميزات فكرته.....
61.....	المبحث الثالث : تعريف المصطلحات.....

61.....	المطلب الأول: مفهوم المقاصد
61.....	الفرع الأول : تعريف المقاصد لغة
62.....	الفرع الثاني : تعريف المقاصد اصطلاحا
64.....	الفرع الثالث: موضوع المقاصد
64.....	المطلب الثاني: مفهوم العقيدة
64.....	الفرع الأول: تعريف العقيدة لغة
65.....	الفرع الثاني : تعريف العقيدة اصطلاحا
66.....	الفرع الثالث: موضوع العقيدة
69.....	المطلب الثالث: مفهوم النبوة
69.....	الفرع الأول: تعريف النبوة لغة
70.....	الفرع الثاني: تعريف النبوة اصطلاحا
71.....	الفرع الثالث: موضوع النبوة
73.....	الفصل الثاني: مسألة النبوة عند النورسي ومنهجه في تناولها
74.....	المبحث الأول: الإطار المقاصدي لمبحث مسألة النبوة
80.....	المطلب الأول : موقع النبوة في الاستدلال المقاصدي عند النورسي
83.....	المطلب الثاني : موقع مسألة النبوة عند النورسي
83.....	المبحث الثاني : النبوة عند النورسي والمنهج العام لتناول المسألة
85.....	المطلب الأول : طريقة تناول النبوة عند النورسي
85.....	المطلب الثاني : المنهج العام لتناول مسألة النبوة
89.....	المبحث الثالث : منهج تناول تفاصيل جوانب النبوة
89.....	المطلب الأول : الجانب الدلالي

93	المطلب الثاني : الجانب المقاصدي.....
98	المطلب الثالث : باقي الجوانب(الغيبي البلاغي العلمي).....
98	الفرع الأول: الجانب البلاغي:.....
100	الفرع الثاني: الجانب الغيبي:.....
102	الفرع الثالث: الجانب العلمي:.....
103	المبحث الرابع: مميزات منهج التناول.....
103	المطلب الأول: تفعيل المقاصد.....
105	المطلب الثاني : العصرية.....
107	المطلب الثالث: التجديد عند النورسي.....
117	الخاتمة:.....